جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

وزارة الصحبة في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨_٧٨٤ هـ)/(١٢٥٠_١٣٨٢)م دراسة تحليلية

إعداد

د/ محمد عبد المعطي محمد خرم

الأستاذ المساعد بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

وزارة الصحبة في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨_٧٨٤ هـ)/(١٢٥٠_١٣٨٢م) دراسة تحليلية

محمد عبد المعطي محمد خرم

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: mohamadkhorram@azhar.edu.eg

الملخص :

تناول بحث: "وزارة الصحبة في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨_٧٨٤ هـ) / (١٢٥٠_١٣٨٢م) دراسة تحليلية"، الحديث عن بداية ملازمة لفظ الصاحب لمنصب الوزير، ومن خلال استقراء النصوص تبين للدراسة أن أول ظهور لمنصب وزارة الصحبة كان في العصر الأيوبي، وقد ناقشت الدراسة المهام الإدارية التي أسندت لوزير الصحبة في العصر المملوكي من صحبة السلطان في حله وترحاله وإنابته عنه في غيابه، وإشرافه على مخصصات البيت السلطاني وتوفير نفقاته، كما رسمت الدراسة صورة دقيقة للمهام السياسية من خلال مباشرته لأمور السلطنة نيابة عن السلطان، فضلا عن تمثيله الدبلوماسي في استقبال الوفود والرسل القادمة إلى البلاط المملوكي، وطبقا للمهام الموكلة لوزارة الصحبة ظهر للدراسة الدور البارز الذي أدته في النواحي الاجتماعية والاقتصادية وما ترتب عليها من آثار، وبالجملة فإن وزارة الصحبة في فترة الدراسة كان لها الدور الرئيس في سير الأحداث على الصعيدين الداخلي والخارجي للدولة المملوكية.

الكلمات المفتاحية: وزارة الصحبة، الوزارة، العصر المملوكي، الصاحب، الوزير.

The Ministry of Elsohba in the Era of the Bahri Mamluk State (648-784 AH)/(1250-1382 AD) An Analytical Study

Muhammad Abd al-Muati Muhammad Kharm
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.
Email: mohamadkhorram@azhar.edu.eg

Abstract:
The research: "The Ministry of elsohba in the Era of the Bahri Mamluk State (648-784 AH) / (1250-1382 AD) An Analytical Study" discussed the beginning of the association of the word "companion" with the position of minister. Through an examination of the texts, the study showed that the first appearance of the position of the Ministry of elsohba was in the Ayyubid era. The study discussed the administrative tasks assigned to the Minister of elsohba in the Mamluk era, such as accompanying the Sultan in his travels and his representation in his absence, and his supervision of the allocations of the royal household and providing its expenses. The study also drew an accurate picture of the political tasks through his direct management of the affairs of the Sultanate on behalf of the Sultan, in addition to his diplomatic representation in receiving delegations and messengers coming to the Mamluk court. According to the tasks assigned to the Ministry of elsohba, the study showed the prominent role it played in the social and economic aspects and what resulted from them. Effects, and in general, the Ministry of elsohba during the study period had the main role in the course of events on the internal and external levels of the Mamluk state.

Keywords: Ministry Of Elsohba, Ministry, Mamluk Era, Elsohba, Minister.

المقدمة:

توطئـة: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد رسول الله ﷺ، وبعد:

فقد كانت وزارة الصحبة في العصر المملوكي جزءًا مهمًا من تاريخ الدولة المملوكية والتي ينعكس من خلالها الدور الإداري والسياسي والثقافي والاجتماعي لهذه الفترة، فكان نفوذ الوزير يُستمد من سلطة السلطان وقوته، حتى كانت وزارة الصحبة هي وزارة تفويض وإن كان دورها ومهامها ملازمة الوزير الصاحب للسلطان وحلوله محله في إدارة شؤون الدولة عند غياب السلطان، ولذا فقد كانت وزارة الصحبة في العصر المملوكي هي إحدى الوظائف الإدارية المهمة التي وجدت في الدولة المملوكية في مصر والشام وكان وزراؤها ذو سلطة مطلقة في كثير من الأحيان ومن خلال هذا الدور كان اختيار هذا الموضوع ليكون محل بحث جاء بعنوان: وزارة الصحبة في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨_٧٨٤ هـ)/(١٢٥٠_١٣٨٢)م دراسة تحليلية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

كان ولا بد قبل الحديث في موضوع البحث من إبراز أهمية الموضوع وبيان دور وزراء الصحبة من أرباب الأقلام علي الرغم من تضائل نفوذهم في بعض فترات العصر المملوكي، وخاصة منذ استحداث وظيفة نيابة السلطنة، التي هيمنت على منصب الوزير والذي أضحي تابعا وخاضعا لنائب السلطنة، ثم ما تلى ذلك من توزيع مهام الوزير بين الناظر وكاتب السر، وما كان يعتريه من فترات الإلغاء والاكتفاء بناظر الدولة مصرفًا للأمور، ومن هنا كان الدافع للكتابة في هذا الموضع في السطور التالية.

الدراسات السابقة:

١_ الوزارة والوزراء في مصر عصر سلاطين المماليك للدكتور/ محمد عبد الغني الأشقر، طباعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصرين رقم:٢٨٩، ط١٤٣٣،١هـ/٢٠١١م، جاءت الدراسة في ٢١٠ صفحة؛ تناول فيها الباحث الحديث عن نشأة الوزارة في العالم الإسلامي، والوزارة والوزراء وتدهور الوزارة في مصر العصر المملوكي عامة.

٢_الوزارة في العصر المملوكي للدكتور/ صالح حسن ومروان سالم ، بحث في مجلة دراسات في التاريخ و الآثار، جامعة بغداد، ملحق العدد(٥٠)، سنة ٢٠١٥م.

تناول تعريف الوزارة وشروط اختيار الوزير، وضرب نماذج من الوزراء في العصر المملوكي، ومراسيم تعيين الوزير من التقاليد والخلع والتشاريف، ودار الوزارة، واختصاصات الوزير السياسية والإدارية والحربية.

وجاء البحث في عدد ٢٧ صفحة، شغل المتن ١٤ صفحة، والباقي ملخص البحث وخاتمته وهوامشه، وقد جاء البحثان في العصر المملوكي كاملا دراسة تاريخية وصفية وجاء بحثي في عصر دولة المماليك البحرية وفي وزارة الصحبة دراسة تحليلية، فوقع الاتصال بينهم وبيني في المصادر وبعض مصطلحات الدراسة وبعض أسماء الوزراء، ولذا وضعتهما في الدراسات السابقة.

خطة البحث

وقد اقتضى طبيعة البحث الذي بعنوان: وزارة الصحبة في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨_٧٨٤ هـ)/(١٢٥٠_١٣٨٢)م دراسة تحليلية، تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة و عدد من النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع، احتوت المقدمة: على أهمية الموضوع والدراسات السابقة، وتناول التمهيد: التعريف بالصحبة واستخدامها وصفا للألقاب والوظائف العليا في دولة المماليك البحرية والتعريف بالصحبة، نظر الصحبة، استيفاء الصحبة، وأول

ظهور لمنصب وزارة الصحبة، وأبرز مهما وزارة الصحبة قبيل العصر المملوكي، وتحدث المبحث الأول: المهام الإدارية والسياسية لوزراء الصحبة في دولة المماليك البحرية، والمبحث الثاني: المهام الاجتماعية والاقتصادية لوزراء الصحبة في دولة المماليك البحرية وأثرها في المجتمع، والمبحث الثالث: أثر وزراء الصحبة في دولة المماليك البحرية في الحياة العلمية والثقافية، والخاتمة وأهم النتائج.

التمهيد: التعريف بالصحبة واستخدامها وصفا للألقاب والوظائف العليا في دولة المماليك البحرية:

أولًا: التعريف بالصحبة:

الصحبة والصحب اسمان للجمع، واستصحب الرجل الرجل دعاه إلى صحبته وملازمته(١)، فالصحبة تعنى الملازمة وطول المقام بالجوار، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾، (٢)﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (٣)،

وقال النبي ﷺ إن من خياركم وأحبكم إلي أحسنكم أخلاقا(٤)، وقد ذكر السلمي أن أول آداب الصحبة حسن الخلق وملازمة الحياء(٥)، وأن تحسن

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (ت ٧١١هـ): لسان العرب: ١/ ٥٢٠، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٢) سورة لقمان: من الآية:١٥.

(٣) سورة الجن: الآية: ٣.

(٤) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، (ت ٢٥٦هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر(صحيح البخاري): ٤/ ١٨٩، ٥/ ١٢٨، ١٣/٨ ، تحقيق: محمد صالح العثيمين، دار المستقبل، مصر، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٥) السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري أبو عبد الرحمن (ت:٤١٢هـ): آداب الصحبة: ٤٢، ٤٨، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث – طنطا – مصر، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

اختيار الصاحب إن دعت الحاجه لذلك، فتصحب من إن حدثته صانك، وإن صحبته زانك، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى منك سيئة سدها، وإذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك... (١).

ومن آداب الصحبة أيضًا: قبول العذر ممن اعتذر إليك، صادق كان أو كاذب، وقضاء الحوائج لمن يرفع إليه حاجة، وإنصاف الإخوان من نفسه، ومواساتهم من ماله(٢).

نظر الصحبة

تعدُّ وظيفة نظر الصحبة من الوظائف الديوانية ذات الشأن، عالية القدر، والمنزلة، ولهذا يُلحظ أن ترتيبها الرابعة في سُلَّم الوظائف الديوانية(٣)، ولعل أبرز مهام ناظر الصحبة مشاورة الوزير ومحادثته في كل ما يعرضه الوزير عليه من الأمور، ويشاركه في الكتابة في كل ما يكتب فيه ويوقع في كل ما يكتب فيه الوزير، ولأهميتها كان يصدر لمن يتولاها توقيع يخرج له من الديوان. فهذا شهاب الدين غازي الواسطي(٤) خرج له توقيع من ديوان الإنشاء بتوليته نظارة

(١) السلمي: آداب الصحبة: ١١٠ ،١١١.

(٢) السلمي: آداب الصحبة: ١٠١،١٠٠.

(٣)القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، ت: (٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا:١١/ ٣٢٤، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.

(٤) شهاب الدين غازي بن أحمد الواسطي، القاضي الكاتب، ولد بحلب، ثم ولى نظر الدواوين بمصر مدة ثم نقل إلى نظر حلب وولي نظر دمشق ونظر الصحبة في الأيام المنصورية وكتب بديوان الإنشاء مدة، وكانت وفاته سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ): أعيان العصر وأعوان النصر: ٤/ ٢١، ٢٢، تحقيق: علي أبو زيد، وآخرون، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ): =

الصحبة[١]، والتاج بن سعيد الدولة[٢] الذي استقر مشيرا وناظرا على الوزارة بمصر وأضيف إليه نظر الصحبة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م واستمر بها قرابة الثلاث سنوات[٣]، ومن الذين تولوا نظر الصحبة أيضًا المجد بن لفيتة[٤] في شوال سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م ولم يطل مقامه بها حيث عزل سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م[٥].

=

السلوك لمعرفة دول الملوك: ٢/ ٤٨٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م.

(١) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:١٥/ ٥٠٦، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:١١/ ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) التاج أحمد بن سعيد الدولة: كان ذا مكانة عالية ومنزلة عظيمة عند الملك بيبرس الجاشنكير، وحين استعفى من الوزارة، جعله الجاشنكير مشيراً، عرف بالأمانة والعفة، ولم يحصل منه تفريط، وضبط الدواوين والأموال، وكانت وفاته في أوائل شهر رجب سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر:٢/ ١٠٢، ١٠٣، المقريزي: المقفى الكبير: ٧/ ٣٣، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦ م.

(٣) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر:٢/ ١٠٢، ١٠٣، المقريزي: السلوك: ٢/٤٠٨،

(٤) مجد الدين إبراهيم بن لفيتة، كان نصرانيا فأسلم وترقى في الخدمة الديوانية إلى أن تولى ناظر الدولة رفيقا للوزير مغلطاي الجمالي، توفي في جمادى الأولى سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ت: (٨٥٢هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ١/ ٥٩، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد بالهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٥) المقريزي: السلوك: ٣/١٠٩، ١١٩.

وفي ذات السياق تشير الروايات التاريخية إلى أن ثمة وظيفة يبدو من مهامها أنها كانت ذات صلة بناظر الصحبة وهي: استيفاء الصحبة وفيما يلي أُبرز أهميتها ومهامها وأبرز من شغلوها.

استيفاء الصحبة.

استيفاء الصحبة تعد من الوظائف الجليلة، والرفيعة التابعة للوزارة[١]، وعلى الرغم من تبعيتها لسلطة الوزير إلا أن صاحبها ينفذ تصرفه في جميع أرجاء الدولة المملوكية بمصر والشام؛ لاتصاله المباشر بالسلطان ومصاحبته له في الحل والترحال، إلى جانب ما كان يعهد إليه من الكتابة له وعنه، وكل ما يدور في الدولة من التولية والعزل ومراجعة الحسابات قبل عرضها على السلطان... إلخ[٢]، بل قال القلقشندي: وصاحب هذه الوظيفة يتحدث في كل ما يتحدث فيه ناظر الصحبة، وله أن يعطي الإطلاقات[٣] المعفاة من الضرائب [٤].

(١) القلقشندي: صبح الأعشى: ١١/ ٨٨.

(٢) العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين ت:(٧٤٩هـ): التعريف بالمصطلح الشريف: ١٥٢، ١٥٣، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار:٤٥٧/٣، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، القلقشندي: صبح الأعشى: ١١/ ٨٨.

(٣) الإطلاقات (الإقطاعات): هو أن يحل المُقطع محل السلطان ليتمتع بغلاته وإيراداته فحسب، ثم يؤل إلى السلطان بمجرد انتهاء مدة الاقطاع أو وفاته او بسبب إخلال المقطع بشروط العقد القائم، سواء في ذلك ما يسمى الاقطاع التمليك وهو الاقطاع العادي أو إقطاع شخص خراج جهة معينة. أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي: ٢١.

(٤) صبح الأعشى: ١١/ ٣٤٣.

بل إن ما يلفت الانتباه أن استيفاء الصحبة خُصص لها ديوان عرف بـ" ديوان استيفاء الصحبة الشريفة"[١]، وما ذاك إلا لقدرها العالي، والرفيع في بلاط الدولة يؤكد هذا أيضًا أن من يتولاها كان يصدر له مرسوم التولية باستيفاء الصحبة، وفيه ما نصه: «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي، القضائي، الفلاني: أدام الله رفعته، في استيفاء الصحبة الشريفة، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته»[٢].

ومن أشهر من تولى استيفاء الصحبة مكين الدين إبراهيم بن قرونة[٣] وشرف الدين إبراهيم بن زنبور[٤]، وتاج الدين بن النشو المالكي[٥] والقاضي كريم الدين[٦] وفخر الدين بن سعيد [٧] وغيرهم كثير[٨]،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى:٤/ ٢٩، ٧/ ٢٢٤.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى: ١١/ ١٢٠.

(٣) مكين الدين: إبراهيم بن قرونة القاضي الكبير، كان مستوفي الصحبة مع الجمالي، وكان ذا مكانة عنده، فلا ينفرد بأمر دونه، تولى نظر الجيش بالديار المصرية، ثم جمع له بين نظر الجيش ونظر الخاص ثم عزل من ذلك كله، وبقي القاضي مكين الدين بطالاً من سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، وأقام بمصر إلى أن توفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م في طاعون مصر. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر: ١/١١٣، ١١٤، المقريزي: السلوك: ٣/ ٤٢٨، ٤٢٩، ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين ت(٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ١٠/ ٢٤٣، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، د. ت.

(٤) انظر: المقريزي: المقفى الكبير: ٤/٢٥٦.

(٥) انظر: ابن حبيب الحلبي: الحسن بن عمر بن الحسن:(ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): مخطوطة درة الأسلاك في دولة الأتراك: ورقة: ٢٤٩، ٢٥٤، مكتبة آيا صوفيا رقم: ٢٣٣، عدد الأوراق: ٢٨٧ المقريزي: السلوك: ٣/٣٥٤.

(٦) الصفدي: الوافي بالوفيات:١٧/٥١، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وآخر، دار إحياء التراث بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٧) انظر: المقريزي: المقفى الكبير: ٤/٢٣٩.

(٨) انظر: المقريزي: السلوك: ٣/ ٤٢٨، ٤٢٩.

ثانيًا: أول ظهور لمنصب وزارة الصحبة ومن تولوه.

يعد إسماعيل بن أبي الحسن عباد المتوفى سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م[١] هو أول من سمّى من الوزراء بلقب الصاحب؛ لأنه صحب مؤيد الدولة من الصّبا فسمّاه الصاحب، فغلب عليه، وقيل: إنه كان يصحب ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد[٢]، وقد رد المقريزي على الصابي قوله، " فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به، ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده"[٣]، كما أن الوزير إن كان من أرباب الأقلام أطلق عليه اسم الصاحب، وإن كان من أرباب السيوف لا يعرف بهذا اللقب، وأيد ذلك بقوله: ولا أعلم أحد من وزراء خلفاء بني العباس ولا الخلفاء الفاطميين قيل له: الصاحب[٤].

(١) انظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي(ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/٢٢٨_٢٣١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م.

(٢)ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١/٢٢٩، ابن تغري بردي: النجوم: ٤/ ١٧٠، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه ابن أيوب ، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت٧٣٢هـ): المختصر في أخبار البشر٢/ ١٣٠، المطبعة الحسينية مصر، ط١، د. ت، سبط بن العجمي: كنوز الذهب في تاريخ حلب: ١/ ٤٤٣، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ – ٩٤٧هـ): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: ٣/ ٢٥٩، تحقيق: بو جمعة مكري وآخر، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨ م.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١/٢٢٩.

(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: ٣/ ٣٨٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٨هـ /١٩٩٧م، محمد عبد الغني الأشقر: الوزارة والوزراء في مصر عصر سلاطين المماليك: ٥٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصرين ٢٨٩، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م.

أما عن تسمية الوزارة بالصحبة فكان أول ظهور لها حينما استحدث الأيوبيون في أيامهم هذا المنصب فالوزير صفيّ الدين عبد الله بن شكر[١] هو أول لقب بهذا وصار من بعده لقب يُطلق على وزراء مصر[٢]، ومن الذين تولوا وزارة الصحبة: زين الدين أحمد[٣] الذي تم تعينه وزيرا للصحبة في رمضان سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م[٤] وفخر الدين إبراهيم بن لقمان[٥] الذي تولى وزارة الصحبة بعد

(١) عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور، الصاحب الوزير الكبير صفي الدين أبو محمد الشيبي المصري الدميري المالكي، المعروف بابن شكر، ولد سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، وتفقه على الفقيه أبي بكر عتيق البجائي، ورحل إلى الإسكندرية، وتفقه بها على أبي القاسم مخلوف، وروى عنه الزكي المنذري، والشهاب القوصي، وأثنيا عليه، فقال الزكي: كان مؤثرا للعلماء والصالحين، كثير البر بهم، والتفقد لهم، لا يشغله ما هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم، وأنشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة، توفى سنة ٦٢٢هـ/1225م . الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٣/ ٧٠٦_ ٧٠٨، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٢٢٢، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢) القلقشندي: ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر(مختصر صبح الأعشى):٣٨١، تصحيح ومقابلة: محمود سلامة، مطبعة الواعظ، درب الجماميز، القاهرة، ط١، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م. المقريزي: الخطط: ٣/ ٣٨٩.

(٣) الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين تولى وزارة الصحبة سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، وكان فقيها شافعيا فاضلا متدينا محبا لأهل الخير، وقبض الملك السعيد عليه سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م وصادر منه مائة ألف دينار، وكانت وفاته سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م. المقريزي: السلوك: ٢/ ١٠٥، ١١٣، ٣٨٥.

(٤) المقريزي: السلوك: ٢/ ١٠٥، ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب:٧/ ٦٢٤، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير بيروت، ط١، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م.

(٥) فخر الدين إبراهيم بن أحمد بن محمد الشيباني الإسعردي بن لقمان، الوزير الكاتب، شيخ =

تاج الدين محمد بن حنا سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م[١] الذي تولى وزارة الصحبة ثلاث مرات؛ مرة للملك السعيد، ومرتين للملك المنصور قلاوون[٢]، وبهاء الدين بن حنا المصري[٣] الذي تولى للملك الظاهر فأحسن التصرف وساس الأمور كما ينبغي فكان من أفراد الوزراء وأحد رجال دهره حزما ونبلا [٤].

ومن اللافت للنظر أن يتولى وزارة الصحبة وزيران في وقت واحد؛ مثل ما حدث مع فخر الدين بن حنا الذي تولى وزارة الصحبة للظاهر بيبرس ورافقه إلى

=

الإنشاء، ولد سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م، حدث عن: ابن رواج، وكتب عنه البرزالي، برع في الرسائل والأدب، وناب في ديوان الإنشاء عن البهاء وانتهت إليه رياسة الإنشاء بعد بهاء الدين زهير، تولى الوزارة بمصر بعد عزل برهان الدين السنجاري سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، ثم عزل من الوزارة مرتين. وتوفي بمصر سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، الذهبي: تاريخ الإسلام:١٥/٢١٠، ٧٧٠، ٧٧١، ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون (٧٦٤هـ): فوات الوفيات: ١/٤٣، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

(١) المقريزي: السلوك: ٢/ ١١٣.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام:١٥/ ٧٧٠، الصفدي: الوافي بالوفيات: ٦/ ٦٤، المقريزي: المقفى الكبير: ١/ ١٥٩، ١٦٠.

(٣) علي بن محمد بن سليم، الصاحب الوزير الكبير، بهاء الدين بن حنا المصري، استوزره الملك الظاهر، وفوض إليه الأمور، وأطلق يده في إدارة الدولة واستمر في وزارة الملك السعيد، وكان يقرب الصلحاء والفقراء ويحسن إليهم وكانت وفاته سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/ ٣٤٤، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات: ٣/٧٦، ٧٧، الصفدي: وفيات الوفيات: ٢٢/٢١، ٢٢، ابن حبيب: مخطوطة درة الأسلاك: ورقة: ٣٠.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/ ٣٤٤، العبر في خبر من غبر:٣/ ٣٣٦، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

دمشق وكان أبوه بهاء الدين وزير الصحبة بمصر الذي ناب عن السلطان بها حتى يرجع من سفره وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م [١]، وكذلك الأمر مع ابنه تاج الدين بن حنا[٢] الذي تولى وزارة الصحبة في أيام الظاهر بيبرس أيضًا مدة وزارة جده الصاحب بهاء الدين[٣]، كما توافق تولى فخر الدين بن لقمان الوزارة بمصر وتقي الدين توبة[٤] وزارة الصحبة بدمشق وذلك في شهر شوال عام ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م وليس بينهما سوى أيام أحدهما في اليوم الثاني من شهر شوال والآخر في الثامن منه[٥]، ومن خلال ما سبق عرضه حري بنا أن

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية: ١٣/ ٢٦٩،، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٢) محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري، الصاحب تاج الدين ابن الصاحب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين ابن حنا؛ ولد سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م، انتهت إليه رياسة عصره بمصره، كان ذا سؤدد ومكارم أخلاق وتواضع ومحبة للفقراء والصالحين، رُتّب في الوزارة بعد ابن السّلعوس، ثم نُكب على يد الشجاعي، وكانت وفاته سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م. ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات: ٣/٢٥٥_٢٥٩، الصفدي: أعوان العصر وأعيان النصر: ٥/ ١١٢_ ١١٥.

(٣) ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري: ١/٢٠٧، المقريزي: المقفى الكبير: ٧/ ٦٢.

(٤) تقي الدين أبو البقاء توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة التكريتي، ولد يوم عرفة بعرفة سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م تولي البياعة بدار الوكالة بدمشق، ثم ولي وزارة دمشق أيام المنصور قلاوون، وعزل في أول دولة الأشرف بن قلاوون، ثم ولاه كتبغا وزراة مصر توفي سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م.ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري: ١/٤٥٢،٤٥١، الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/٨٧١.

(٥) ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري: ١/٤٥١، الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/ ٨٧١، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات:١/ ٢٦١، المقريزي: السلوك: ٢/ ١٢٤.

نلقي نظرة على مهام هذه الوزارة بعد ظهور هذه اللقب وارتباطها بمنصب الوزارة في السطور التالية:

ثالثًا: أبرز مهام وزارة الصحبة قبيل العصر المملوكي:

بعد استقراء النصوص التاريخية ذات الصلة بوزارة الصحبة قبيل العصر المملوكي يمكن القول: إن ثمة شروط كان ولا بد أن تتوفر لمن يشغل هذا المنصب من ذلك: القوة، والحزم، وطبيعة الأحوال، والسياسات ذات الصلة بالمجتمع، فضلًا عن شواهد تبرز دورهم البارز في بناء مجتمعاتهم. ولعل الإشارات التي ذكرتها المصادر في هذا السياق تصور شيئًا من هذا بصورة، أو بأخرى. فهذا الصاحب الوزير جمال الدين الأصبهاني[١] استعمله عماد الدين زنكي[٢] على نصيبين[٣] وغيرها من المدن؛ حتى عرف بوزير صاحب الموصل،

(١) محمد بن علي بن أبي منصور، الصاحب جمال الدين أبو جعفر الإصبهاني، الملقب بالجواد وزير الأتابك زنكي وسيف الدين غازي وقطب الدين مودود، توفي سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م. الذهبي: تاريخ الإسلام:١٢/ ١٦٣، ١٦٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٥/ ٣٦٥.

(٢) أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور؛ صاحب الموصل، ولد سنة ٤٧٧هـ/١٠٥٥م، فوض إليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد في سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م، وبعد حياة مليئة بالجهاد في سبيل الله قتل سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م . ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٢: ٢٣٧، ٢٣٨.

(٣) نصيبين مدينة قديمة عامرة في ديار ربيعة وهي من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات، كثيرة الأنهار والجنات والبساتين، وبها نهر عظيم، افتتحها عياض بن غنم الفهري في خلافة عمر ﷺ سنة ١٨هـ/٦٣٩م وأسكنها المسلمين، وهي حاليا على الحدود التركية السورية. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت٧١٠هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار: ٥٧٧، تحقيق: إحسان عباس: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢،١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م. ، يحيي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية: ٣١٤، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

فقام بدوره على أتم ما يكون حتى اعتمد عليه زنكي فجعله مشرفًا على دولته كلها، ولما قتل زنكي اتخذه أولاده وزيرًا لهم واحد بعد الآخر(١)، ولم يكن دوره الاجتماعي والاقتصادي بأقل من دوره الإداري بل لعله كان سبب نكبته، وكان نبيلا، سمحا، كريما. محبوبا رئيسا، حسن الخلق، ما ترك بابا من أبواب الخير يستطيع الوصول إليه إلا فعله؛ فكان يحمل في كل عام إلى الحرمين أموالا وكسوة تكفي الفقراء سنة، وأجرى الماء إلى عرفات أيام الموسم، وبنى مسجدًا عليها وعمل الدرج من أسفل الجبل إلى أعلاه، وبنى مسجد الخيف بمنى، وجدّد الحجر إلى جانب الكعبة، وزخرف البيت بالذهب، وبنى أبواب الحرم وشيّدها ورفع أعتابها صيانة للحرم؛ وبنى سور مدينة النبي ﷺ حفظا لها من الأعراب التي كانت تغير عليها، وعمل البرك والمصانع؛ وحين وقع غلاء عظيم في زمنه واسى الناس بماله حتى لم يبق له شيء، فلما مات ضج الفقراء والضعفاء والأيتام والأرامل بالبكاء من كثرت ما كان يصلهم من الخير والبر(٢).

بينما تشير المصادر إلى أن الوزير الصاحب صفي الدين بن شكر تولى الوزارة للملك العادل واستولى عليها ظاهرا وباطنا، ومع ما كان فيه المنصب والجاه والقرب من السلطان كان به خبث وحقد فلا تخبو ناره، حتى ينتقم ولا ينام عن عدوه، ولا يرضى له بدون الإهلاك، وكان له ضياع كثيرة مغلة بمصر والشام، وبلغ مجموع ذلك مائة وعشرين ألف دينار، فلما ظهر فساده وكثر الكلام حوله أمر الملك العادل بنفيه عن مصر والشام فسكن آمد(٣)، فأحسن إليه

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام:١٢/ ١٦٣، سير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٢٨،ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٥/ ٣٦٥،

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام:١٢/ ١٦٣، ١٦٤، سير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٢٨، الصفدي: الوافي بالوفيات: ٤/ ١١٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٥/ ٣٦٥،

(٣) آمد: مدينة من كور الجزيرة الفراتية من أعمال الموصل تقع ما بين دجلة والموصل، =

صاحبها فلما مات العادل، استدعاه الكامل[١] إلى مصر فولاه الوزارة، وأخذ في المصادرات لأرباب الوظائف[٢]، ومع ذلك كان له دور سياسي بارز، تجلى في استقرار الأوضاع الداخلية للدولة وخاصة وقت الأزمات والانشغال بمحاربة العدو الخارجي وليس أدل على ذلك من موقفه حين طلبه الكامل محمد بن العادل، أثناء القتال مع الإفرنج على دمياط، وكان الاضطراب والشغب وثوران العرب في مصر على أشده، وعصيان بعض الأمراء، مما جعل ابن شكر ينهض بالأمر على سابق عادته من الشدة والحزم، فخافه الناس وهابه الأمراء، فاستقرت الأمور

=

فتحها عياض بن غنم ١٨هـ/٦٣٩م بعد قتال على مثل صلح الرها، وهي حاليًا ديار بكر جنوب تركيا. الحميري: الروض المعطار: ٣، ٤، يحيي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية: ٣١٤.

(١) الملك الكامل محمد بن العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي، ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، طلب العلم الحديث والفقه وأجازه كبار علماء الحديث، تملك ديار مصر أربعين سنة منها عشرون في أيام أبيه، ازدهرت مصر في أيامه، فأنشأ دار الحديث بالقاهرة ٦٢١هـ/١٢٢٤م وعمر قبة الشافعي، وأجرى الماء من بركة الحبش إلى القبة، توفي بدمشق سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م.الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٤/١٨٥، ١٨٦، سير أعلام النبلاء:١٦/ ١٢٧، الصفدي: الوافي بالوفيات:١/ ١٥٨، ١٥٩.

(٢) أبو شامة: شهاب الدين أبو محمد عبد الحمن بن إسماعيل المعروف بابي شامة المقدسي: (ت: ٦٦٥هـ): تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين:١١٤، تحقيق: السيد عزت العطار، محمد زاهد الكوثري، دار الجيل بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

الذهبي: تاريخ الإسلام:١٣/٧٠٦_٧٠٨، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات:٢/ ١٩٣، ١٩٤، ابن طولون: شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي ت: (٩٥٣هـ/١٥٤٦م): إنباء الأمراء بأنباء الوزراء: ١٠٢، ١٠٣، تحقيق: مهنّا حمد المهنّا، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

وهدأت الأوضاع الداخلية وتفرغ الملك الكامل للعدو الخارجي[١].

ومع ذلك كان حظ العلم منه لا يقل عن نصيب الإدارة والسياسة، فقد خدم العلم وأهله، وترك فيه آثارا؛ أخذ الفقه على علماء عصره، وطلب الحديث ورحل إلى الإسكندرية، فأجازه كبار المحدثين بها، فحدث بدمشق ومصر؛ وكان مؤثرا للعلماء والصالحين، كثير البر بهم، والتفقد لأحوالهم، لا يشغله ما هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم[٢]، كما أنشأ الصاحب ابن شكر المدرسة الصاحبية[٣] المالكية بالقاهرة، وأقام بها حلقات الدرس، فدرس بها كبار العلماء كالحافظ المقدسي[٤] والذي استمر بها إلى حين وفاته[٥]، وقد عمل ابن شكر على نشر المذهب المالكي _ وكان متقنًا له_ إضافة للمدرسة المشار إليها

(١)النويري: نهاية آرب في فنون الأدب: ٢٩/ ٥٥، ٥٦، الزركلي خير الدين، بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت١٣٩٦هـ): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: ٤/ ١٠٦، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام:١٣/٧٠٦_٧٠٨، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات:٢/ ١٩٣، ١٩٤، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء: ١٠٢، ١٠٣،

(٣) تقع هذه المدرسة بالقاهرة في سويقة الصاحب، كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس، ومن جملة دار الديباج، أنشأها صفيّ الدين بن شكر، وأوقفها على المالكية، وألحق بها خزانة كتب، وما زالت بيد أولاده. المقريزي: الخطط: ٤/ ٢١٣.

(٤) علي بن المفضل بن علي بن مفرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر، شرف الدين أبو الحسن اللخمي المقدسي الأصل الإسكندراني الفقيه المالكي القاضي، ولد سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، طلب الفقه والحديث، وجاور بمكة، وقدم مصر سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م وأقام بالإسكندرية، وكانت وفاته سنة ٦١١هـ/١٢١٤م بالقاهرة. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣/٢٩١، ٢٩٢، الذهبي: تاريخ الإسلام:٣/ ٣٢٠_٣٢٢.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣/ ٢٩٢.

سالفًا، تصنيفه كتابا مختصرًا في المذهب حدث به في دمشق، من حفظه عنه عدّة من الناس في مدّة وزارته، وأغدق على من حفظه من العطايا والنعم ما جعل مصنفه يتناقله طلاب العلم(١).

وقد قام الوزير صفي الدين بن شكر بدور إداري خدم به المجتمع؛ فباشر الإشراف على نشر الحجارة لتبليط الجامع الأموي بدمشق التي استخرجوها من القنطرة التي هدمت(٢)، كما كلفه الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب أيضًا بالإشراف على بناء جامع المصلي(٣) في سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م وقيل في العام الذي بعده، حيث شرع في عمارة المصلى وبنى له أربعة جدر مشرفة وجعل له أبواب صونا لمكانه من الميتات والمخلفات التي يتخلص منها العامة، وعمل الفوارة به، كما جعل في قبلته محراب من حجارة ومنبر من حجارة وعقدت فوق ذلك قبة، وفي سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م أقام في قبلته رواقين وصنع له منبر من خشب، ورتب فيه الأئمة والخطباء وعمّر جامع المزة(٤) بدمشق(١)، وأنشأ جامع

(١) أبو شامة: الذيل على الروضتين:١١٥، المقريزي: المقفى الكبير: ٤/ ٣٢٨، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء: ١٠٢.

(٢) أبو شامة: الذيل على الروضتين:١١٥،ابن كثير: البداية والنهاية:١٦/ ٧٤٥، النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٨هـ): الدارس في تاريخ المدارس: ٢/ ٢٩٦، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٣) يقع خارج دمشق، أنشأه الملك العادل ابن أيوب في التاريخ المذكور وجعله لصلاة العيد وجعل له محرابا ومنبرا من الحجارة وجعل عليه فوقه قبة ثم عمل في قبلته رواقان ومنبر من خشب. بدران: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد ت: (١٣٤٦هـ): منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: ٣٨٩، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

(٤) أنشأه الوزير ابن شكر سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م بقرية المزة إحدى قرى دمشق، وقد خرب فيما بعد وبطلت الصلوات فيه سنين إلى أن أمر السلطان سليمان بعمارته مع عمارة البلد. =

حرستا[٢] وغيرهما مما خدم به المجتمع[٣]، ومع ذلك كله فإن بعض العامة وبعض الخواص كان يبغضونه لتسلطه على الملك العادل وتقريبه الأراذل والأشرار من الفقهاء مثل الجمال المصري[٤]، وابن كسا البلبيسي[٥]، والمجد البهنسي[١]؛ الأمر الذي أوغر عليه صدور العامة وغيرهم[٢].

=

النعيمي: الدراس في تاريخ المدارس:٢/ ٣٣٣، بدران: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: ٣٨٨.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية:١٤١/١٧، النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس: ٣٣٣/٢، ٣٣٤.

(٢) حرستا: قرية كبيرة تقع على طريق حمص ودمشق عامرة بالبساتين، منها جمع كبير من العلماء، منهم القاضي عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحرستاني الشافعي. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان:٢/ ٢٤١، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٣) أبو شامة: الذيل على الروضتين:١١٥، الذهبي: تاريخ الإسلام: ٧٠٧/١٣، ابن شكر الكتبي: فوات الوفيات: ٢/ ١٩٣، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء: ١٠٢، ١٠٣، ابن كثير: البداية والنهاية:١٧/ ١٤١، النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس:٢/ ٣٣٤، ٣٣٧،

(٤) يونس بن بدران بن فيروز بن صاعد بن عالي بن محمد بن علي، قاضي القضاة بالشام جمال الدين، القرشي الشيبي الحجازي الأصل المليجي المولد الشافعي، المشهور بالجمال المصري، ولد تقريبا سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م، ترسل إلى الديوان العزيز، وولي الوكالة بالشام، ثم القضاء، ودرس بالأمينية، وولي تدريس العادلية؛ وترسل عن الملك العادل، اختصر كتاب الأم، كان في ولايته عفيفا، مهيبا، لازما مجلس الحكم بالجامع وغيره، توفى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م.الذهبي: تاريخ الإسلام: ٧٥٦/١٣، ٧٥٧.

(٥) أحمد بن سليمان بن حميد بن إبراهيم بن مهلهل، أبو العباس القرشي المخزومي البلبيسي الشافعي الأديب الشاعر، المعروف بابن كسا، ولد سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، بدمشق، توفي =

في مقابل هذا يلحظ أن الوزير الصاحب نجيب الدين أبوالعباس الإسكندراني[٣] لم يكن أقل دورا من سابقه فقد عمل بدواوين مصر، ودمشق، والجزيرة، وتولى نظر ديوان دمشق، ثم تولى الوزارة للملك العادل وحظي عنده، ومع ذلك كان له نصيب من العلم والتدريس لعلوم الحديث والعربية وخاصة علم النحو، وقيّما بمذهب الإمام مالك؛ حيث تفقه على جماعة من علماء مذهب مالك[٤]، مما يدل على أنه كان من أرباب الأقلام الذين تولوا وزارة الصحبة فخدموا العلم وأهله.

=

سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٤/ ١٦٧.

(١) الحارث، القاضي الجليل مجد الدين أبو الأشبال بن الرئيس العالم النحوي مهذب الدين أبي المحاسن المهلب بن حسن بن بركات بن علي بن غياث المهلبي المصري الشافعي المجد البهنسي، سافر مع الصاحب صفي الدين بن شكر إلى الشام، وترسل إلى الديوان العزيز، وإلى ملوك النواحي. ووقف وقفا بمصر على زاوية جده بالجامع العتيق، توفي بدمشق سنة : ٦٢٨هـ/١٢٣٠م. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٤/ ١٦٧.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام: ٧٠٨/١٣، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء: ١٠٥.

(٣) أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس بن عبد العزيز، القاضي، الوزير، نجيب الدين، أبو العباس، التميمي، الإسكندراني، المالكي، ولد سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م بالإسكندرية، وتوفي بها سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م. الذهبي: تاريخ الإسلام:١٤/ ٢٦١، الصفدي: الوافي بالوفيات:٦/ ١٥٩.

(٤) هم أبو القاسم مخلوف بن جارة، وأبو الفضل أحمد بن عبد الرحمن الحضرمي، وابن المفضل الحافظ. وسمع من عبد المجيد بن دليل، وجماعة. الذهبي: تاريخ الإسلام:١٤/ ٢٦١،

وفي سياق متصل كان الوزير الصاحب شرف الدين بن المستوفي[١] الذي تولى استيفاء الديوان بإربل[٢] سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م ثم ناظر الديوان بها، ثم تولى الوزارة في سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م، ثم انتقل إلى الموصل وأقام بها، ومع قصر مدته في الوزارة كان له في العلم دورا بارزا، فألف من نفائس الكتب شيئا كثيرا، فانتفع بها من جاء بعده من العلماء [٣].

(١) أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي، الملقب شرف الدين، المعروف بابن المستوفي الإربلي، ولد في شوال سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م بقلعة إربل من بيت كبير من الرؤساء الأدباء، تولى والده وعمه صفي الدين أبو الحسن علي بن المبارك الاستيفاء بإربل، وكانت وفاته المحرم سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، ودفن بالمقبرة السابلة خارج باب الجصاصة. ابن خلكان: وفيات الأعيان:٤/١٤٧_١٥١،

(٢) وهي مدينة عراقية كبيرة وقلعة حصينة، ينسب إليها جمع كثير من أهل العلم، وهي حاليا تقع شمالي العراق بمنطقة جبلية إلى الغرب من سفوح جبال كردستان وهي عاصمة محافظة إربل. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ١٣٧_١٤٠، يحيي شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية: ٦٩.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان:٤/١٤٧_١٥١، الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٤/ ٢٥٥_٢٥٧، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٣١٠، ٣١١،

المبحث الأول: المهام الإدارية والسياسية لوزراء الصحبة في دولة المماليك البحرية

ومما لا شك فيه أن وزراء الصحبة في العصر المملوكي كان منوطا بهم دور كبير وأعباء جسيمة في تسيير أحوال الدولة إذ تقاسموا مع السلطة العليا في الدولة مهامهم وأعمالهم، بل كان عليهم مدار وتدبير ما يقوم به السلطان أو الملك من أمور وما يتخذه من قرارات؛ والتي مثلت حلقة الوصل في الأعم الأغلب بين الحكام والرعية، وفي الأسطر التالية أبرز المهام الإدارية والسياسية لهذه الوزارة:

(١): المهام الإدارية لوزراء الصحبة:

استهلالًا وقبل الحديث عن المهام الإدارية أود الإشارة إلى أن لوزارة الصحبة مقرًا إداريًا بقلعة الجبل وكان عبارة عن قاعة فخمة تعرف بقاعة الصاحب وكان يدخلها الوزير وعليه تشاريف الوزارة فيباشر من خلالها مهامه الإدارية والسياسية إبان إقامته بالقلعة[١].

ووفق الروايات التاريخية فإن من أبرز مهام وزير الصحبة ملازمة السلطان ومصاحبته في حله وترحاله كمصاحبة الوزير الصاحب فخر الدين عمر الخليلي[٢] السلطان كتبغا (٦٩٤_٦٩٦)هـ/(١٢٩٤_١٢٩٦)م إلى بلاد

(١) كانت من أعمال ابن السلعوس بدار الوزارة التي أنشأها أيام سلطنة الأشرف والتي كانت تضم قاعة الصاحب والتي عرفت بقاعة الذهب، وقاعة الإنشاء بقلعة الجبل والتي هدمت فيما بعد. المقريزي: السلوك: ٣/ ١٦٩، المقفى: ٧/ ٣٣.

(٢) هو الصاحب فخر الدين بن عمر بن الخليلي الداري الذي كان على نظر ديوان الملك الصالح علاء الدين، ثم ولي نظر النظار بالديار المصرية، ونظر الصحبة، ثم عزل في الدولة الأشرفية، كما تولى نظر ديوان الملك العادل، في مدة نيابته عن السلطنة، ثم ولي الوزارة للسلطان كتبغا في سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م وعزل في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م، ثم أعيد إلى الوزارة في سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، ثم عزل مرة أخرى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، وتوفي سنة =

الشام سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م[١] والصاحب ابن السلعوس[٢] الذي كان يصحب السلطان الأشرف خليل(٦٨٩_٦٩٣)هـ/ (١٢٩٠_١٢٩٣)م في رحلات الصيد ورحلاته إلى دمشق والعودة منها إلى مصر[٣]، كما كان تسند إلي الوزير

=

٧١١هـ/١٣١١م، معزولا عن الوزارة، ودفن بالقرافة الصغرى، وكان مولده سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م، النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب:٣١/ ٣٣٦،٢٨٦،٢٨٥، ٣٣٧،٣٢/ ١٦٨، ٣٢/ ١٩٤،، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، الذهبي: العبر: ٤/ ٢٧، اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: ٤/ ١٨٦، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: ٥/ ٤٨٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٥٨/٨، ١٢/٩، ٢٢٠، ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٥١/٨، ١٢.

(١) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر:٦٣٦/٣، ٦٣٧، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٣١٧.

(٢) محمد بن عثمان بن أبي الرجاء، الوزير الكبير الصاحب الأثير، شمس الدين التنوخي الدمشقي، التاجر، ابن السلعوس، وزير الملك الأشرف، كان من التجار تولى الحسبة بدمشق، ثم عين وكيلا لمصر نيابة عن الأشرف في أيام أبيه، ثم وزر للأشرف بعد تملكه، ثم نكب ومات من العقوبة، توفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. الذهبي: تاريخ الإسلام:٧٧٧/١٥، ٧٧٨، ابن حبيب: مخطوطة درة الأسلاك: ورقة: ٦١.

(٣) الدواداري: كنز الدرر: ٣١١،٣٢٣/٨، ابن الجزري: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي (ت: ٧٣٨هـ): تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه (المعروف بتاريخ ابن الجزري): ١/ ٥٤، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ابن العسال: النهج السديد: ٣٠٠، ٣٠٤، ٣١٠، ابن كثير: البداية والنهاية: ٣٧٩،٣٨٦/١٣، المقريزي: السلوك: ٢/ ٢٤٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:١٦/٨.

الصاحب مهمة تفقد الأماكن والمواضع التي يريد السلطان معاينتها، بغرض الشراء أوالإقطاع أوتخصيصها وإعمارها للنفع العام ومصالح المسلمين كالوزير فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين بن حنا الذي أرسله السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م لكشف مكان بالحسينية يصلح لإقامة جامعا لكثرة الناس وحاجتهم لذلك، وقد أشرف على بنائه حتى كمل البناء سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م[١].

كما يلحظ أن من أبرز مهام الوزير الإدارية خروجه في صحبة السلطان لاستقبال المبعوثين والوفود ورسل الملوك والنواب القادمين إلى الدولة في المهمات والمناسبات المختلفة؛ مثلما حدث في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، حيث خرج الوزير الصاحب بهاء الدين بن حنا وقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز وسائر الأمراء وجميع العسكر وجمهور أعيان القاهرة ومصر ومعظم الناس من الشهود والمؤذنين مع السلطان الظاهر بيبرس (658-676)هـ/(١٢٦٠-١٢٧٧)م من قلعة الجبل إلى باب النصر لمقابلة أبو القاسم أحمد الأسمر بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر وهو عم المستعصم وأخو المستنصر، وأيضا صحب الوزير فخر الدين بن حنا السلطان الظاهر إلى بركة الجب لاستقبال أولاد صاحب الموصل، ورسل الملك المغيث صاحب الكرك الذي أرسل يعتذر ويقدم فروض الولاء والطاعة[٢].

---

(١) ابن العسال: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد: ١٥٧، ١٥٨، المقريزي: السلوك: ٢/ ٤١.

(٢) اليونيني: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت: ٧٢٦ هـ): ذيل مرآة الزمان: ٢/ ١٠٧، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م، المقريزي: السلوك: ١/ ٥٢٩، ابن العسال، مفضل ابن أبي الفضائل (ت بعد:٧٥٩هـ): النهج السديد والدر الفريد فيما بعد =

ومن الجدير بالذكر أن من مهام وزير الصحبة الخروج بين يدي المحمل تشريفا وتكريما للكسوة إما منفردًا أو في صحبة السلطان كخروج ابن السلعوس بين يدي المحمل أيام الأشراف خليل بن قلاوون ولم يخرج أحد من الوزراء راكبا بين يدي المحمل غيره هو وأمين الملك ابن الغنام أيام الناصر محمد بن قلاوون(٦٩٣_٦٩٤)هـ/ (١٢٩٣_١٢٩٤)م[١] أو يقوم مقام السلطان حتى يعود من سفره حجًا كان أو جهادًا مثال تعيين الصاحب زين الدين ابن حنا بسبب شروع السلطان في السفر لأخذ بلاد الروم وبعث إلى الأمراء الروميين الخيل والرجال[٢].

فضلا عن ذلك تظهر النصوص التاريخية العائدة لفترة الدراسة أن من المهام الإدارية لوزير الصحبة التعليم على المناشير والمثالات[٣] والرسائل بين يدي السلطان كتعليم الوزير فخر الدين الصاحب بن حنا بين يدي السلطان الظاهر بيبرس على مناشير ديوان الجيش ومثالات ديوان الخزائن أيضًا[٤]، وقد

=

تاريخ ابن العميد: ٩٤،١٠٢، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي السيد، دار سعد الدين دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠١٧م.

(١) المقريزي: السلوك: ٤/ ١٤٥.

(٢) المقريزي: السلوك: ٢/ ١٠٥.

(٣) المناشير: هو مرسوم سلطاني مكتوب بإقطاع أرض أو مال أو بيان حكم في قطعة معينة من الورق تختلف حسب طبقة رجالى الدولة. أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي: ١٤٦.

_ المثالات: هي أوراق رسمية تخول الحاصلين عليها حيازة الإقطاع والتصرف به في العصر المملوكي. مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ٣٨٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٤) المقريزي: السلوك: ١/ ٥٥٥.

يرافق السلطان في خروجه إلى الصيد كالصاحب بن السلعوس التي تولى وزارة الصحبة في عهد الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م الذي كان يخرج معه في رحلات الصيد كما حدث في سنة ٦٩٣هـ/١٢٣م، وقد تكررت هذه الصحبة في رحلة صيد سنة٧٠٣هـ/١٣٠٣م[١].

وفي ذات السياق كان السلطان يكلف وزير الصحبة ببعض المهام المتعلقة بنفقاته، وطعامه، فكان يترك له تدبير أمواله والإشراف على توفير حاجاتها كتاج الدين بن البقري[٢] الذي ترك منصب الوزارة واختفى عدة مرات لعجزه عن تكفية اللحم والنفقات السلطانية[٣]، ولعل المتتبع لأخباره يقول أن الذي جرى له من

(١) الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري(ت بعد:٧٣٦هـ) : كنز الدرر وجامع الغرر(الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية): ٣١١/٨، تحقيق: أُولْرِخ هارمان، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩١هـ /١٩٧١م، المقريزي: السلوك: ٢٢١/٢، ٢٤٥، ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري: ١/ ٤١، ١٩١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ١٦/٨، الأشقر: الوزارة والوزراء في مصر عصر سلاطين المماليك: ٥٨.

(٢) عبد الله بن سعد الدين نصر الله الوزير الصاحب تاج الدين بن الوزير الصاحب سعد الدين توفي سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م المقريزي: السلوك: ٦/ ١٦٧، السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ١١/ ٢٣٨، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ابن شاهين: زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (ت: ٩٢٠هـ): نيل الأمل في ذيل الدول:٣/ ١٣٦، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م.

(٣) المقريزي: السلوك: ١٠١/٦، ١٠٣، ١٦٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ١٢/ ٣٠١، السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ١١/ ٢٣٨، ابن شاهين: نيل الأمل في ذيل الدول:٣/ ١٣٦، ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي:(ت: ٩٣٠هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور: جـ١/ق٧٥٦/٢، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، =

توليه ديوان خزانة الخاص حيث يقول المقريزي:" واستقر تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقري صاحب ديوان خزانة الخاص"[١]: ومن الممكن القول أن الوزارة كانت السبب الرئيس لما حل به إذ أن توليه ديوان الخاص كان سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م وتولى بعدها نظر الإسكندرية، وكانت وفاته تحت العقوبة سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م[٢]، ويؤكد ذلك الإمام السيوطي[٣]: حيث يذكر أن تاج الدين بن البقري ولي الوزارة ثم توارى في المحرم سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م وأعيد ثانية ثم هرب في ربيع الأول، ثم صرف عن الوزارة في ذي الحجة سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م.

ومن خلال ما سبق عرضه يمكن أن نقول وزير الصحبة في دولة المماليك البحرية كانت يتحمل تبعات إدارية كثيرة وهو ما يؤكده القلقشندي بقوله:" الوظيفة الرابعة، وهذا الأمر الذي أهلهم لنيل ثقة سلاطين المماليك البحرية في مباشرة أمور السياسة وهذا ما يظهر جليًا على النحو الآتي:

(٢): المهام السياسية لوزارة الصحبة:

يشير عدد من المؤرخين[٤] إلى أن وزراء الصحبة طيلة فترة الدراسة قد باشروا العديد من المهام السياسية؛ فهذا الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد

=

مركز تحقيق التراث، ط٤، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.

(١) السلوك: ٥/ ١٠٢.

(٢) المقريزي: السلوك: ٥/ ١٠٢،٤٥٧، ٦/ ١٦٧، السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ١١/ ٢٣٨.

(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: ٢/ ٢٢٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/ ١٦٢، ١٦٣، الصفدي/ الوافي بالوفيات: ٢٨/ ٩٢، ٩٣، المقريزي: السلوك: ١/ ٥٠٧، ٥٠٨، الزركلي: الأعلام: ٨/ ٢٠٠،

الفائزي[١]، الذي تولى وزارة الصحبة للملك المعز أيبك[٢] الذي كلف بمهمة سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م قضى فيها على العصيان الذي قام به الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي[٣] بصعيد مصر حيث جمع حوله العربان، وأعلنوا التمرد والعصيان ونهبوا البلاد ووضعوا أيديهم في الأموال فأخذوها وجبوا الجزية، فاقتضى الأمر إرسال الوزير الصاحب شرف الدين الفائزي ليتدارك الخلل، ومعه من العسكر من يخضع له بالسمع والطاعة، فاستطاع قضاء المهمة بالقبض على الخارجين على الدولة وتسليمهم إلى القلعة[٤].

وهذا الصاحب زين الدين بن الزبير[٥] الذي تولى الوزارة لسيف الدين قطز(**657- ٦٥٨)هـ/ (١٢٥٩–١٢٦٠)**م الذي فوض لوزير صحبته تدبير

(١) الوزير الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزيّ، كان نصرانيّا لقّب بالأسعد، سمي الفائزيّ نسبة إلى الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب، ثم أسلم وتنقّل في المراتب الإدارية حتّى ولى الوزارة. للمعز أيبك وولده المنصور، وكان ذا رياسة ومكارم وعقل وحسن تدبير، توفّي سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. الصفدي: الوافي بالوفيات: ٢٧/ ١٦٣، ١٦٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:٧/ ٥٨.

(٢) أيبك بن عبد الله التركماني، السلطان الملك المعز عز الدين، صاحب مصر،كان أكبر مماليك الملك الصالح نجم الدين، وكان جهاشنكيره، تولى السلطنة بعد مقتل الملك المعظم ابن الصالح، لرجاحة عقله وسداد رأيه وسلامة دينه سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ثم خلعوه من السلطنة بعد خمسة أيام من سلطنته، وجعلوه أتابك، للملك الأشرف، ثم قتل سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٤/ ٧٧٣، ٧٧٤.

(٣) أيبك الأفرم، الأمير الكبير، عز الدين الصالحي، الساقي، سمع من عبد الوهاب بن رواج، وحدث. وكان شجاعا من كبار الدولة المصرية، ومات بالقاهرة سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م وصلوا عليه الغائب بدمشق. الذهبي: تاريخ الإسلام:١٥/ ٨٠٩.

(٤) ابن دقماق: نزهة الأنام في تاريخ الإسلام: ٢٢٣،٢٢٤، المقريزي: السلوك: ١/ ٤٨٧،

(٥) أبو يوسف يعقوب بن عبد الرفيع بن زيد بن مالك الأسدي القرشي الزبيري، الصاحب زين الدين: الوزير المصري، المولود سنة٥٨٦هـ/١١٩٠م، كان إماما فاضلا من ولد عبد الله =

العساكر واستخدام الأجناد وسائر أمور الدولة، ونظرا لكفاءته السياسية فقد وزره الملك الظاهر (658-676)هـ/(١٢٦٠-١٢٧٧) م لصحبته في أول دولته، ولعل سبب توليه لوزارة الصحبة معرفته اللغة التركية (اللسان التركي) فمن خلالها كان يحضر الاجتماعات الخاصة بالوفود الدبلوماسية _فيما يبدو_ فضلا عما كان يتولاه من حوار يشمل الجوانب السياسية والعسكرية بين السلطان قطز وجنوده الأتراك فيفهم كلا الطرفين مراد صاحبه، وفي المقابل كان سبب عزله ما أوقع الوشاة وأصحاب الدسائس بينه وبين الملك الظاهر من أنه لا ينبغي الوزير أن يكون على معرفة باللسان التركي لئلا يفهم ما تخاطب به مماليكك وخواصك فعزل ابن الزبير من وزارة الصحبة [١]، وهذا الصاحب فخر الدين محمد بن حنا الذى كان مبعوثًا سياسيًا ودبلوماسيًا والذي أسندت إليه مهام جسيمة فقام به خير قيام[٢].

ومع تعاظم دور وزراء الصحبة في دولة المماليك البحرية يلحظ أنهم باشروا أمور السلطنة فاستبد بها بعضهم لبعض الأوقات بما لهم من حنكة وخبرة سياسية حتى أن بعض السلاطين رغم قوتهم كانوا لا يمضون أمرًا إلا بمشورتهم وتدبيريهم، كما كان حال أيام السلطان الظاهر في وزارة الوزير بهاء الدين _علي

=

بن الزبير، توفي سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م. الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/ ١٦٢، ١٦٣، الزركلي: الأعلام: ٨/ ٢٠٠.

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/ ١٦٢، ١٦٣، الصفدي/ الوافي بالوفيات: ٢٨/ ٩٢، ٩٣، المقريزي: السلوك: ١/ ٥٠٧، ٥٠٨.

(٢) فقد أرسله الأمير أيدمر في ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م فتسلم قلعة الكرك. المقريزي: المقفى الكبير: ٢/ ٢٠٧.

بن محمد بن سليم_ بن حنا[١] وكذلك الصاحب بن السلعوس وزير مصر الذي تمكن في دولة السلطان الأشرف خليل وبلغ من تمكنه أن الأشرف لم يكد يتقلد منصب السلطنة حتى أرسل إليه يستدعيه ويبشره[٢] وقد أكد المقريزي هذه الهيمنة والسيطرة بقوله: خلع عليه وفوض إليه سائر أمور الدولة،... فتمكن تمكنا لم يتمكنه وزير قبله في الدولة التركية[٣]، وما هذا إلا لسابق المعرفة والصلة التي كانت بينهما فكان يتدخل في تولية القضاة وعزلهم بمصر والشام وإن كان هذا الأمر_ وهو التولية والعزل من مهام وزير التفويض_ قد بلغ مداه حيث كان يراجع السلطان في رأيه وقراره حتى أن السلطان كان إذا أراد تولية أحد عهد في شأنه لابن السلعوس تقليده والخلع عليه، كما أضاف المقريزي في كتابه السلوك والمقفى الكبير عددا من المظاهر التي تثبت مدي هيمنته وبسط نفوذه السياسي على سائر أرباب وظائف الدولة فيذكر أنه كان يخرج من بيته إلى مجلسه بالقلعة ويعود في موكب يضاهي موكب السلطان فيخرج بين يديه عددا من

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٣/ ٣٣٠، ٣٣١،

(٢) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر: ٤/ ٢٤، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر:٨: ٢٨٧، ٣٠٦، ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري الكندي (ت٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي:٢/ ٢٢٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ابن العسال: النهج السديد والدر الفريد: ٢٩٤، ٢٩٥، ابن كثير: البداية والنهاية:١٣/ ٣٧٤،٣٧٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٨/ ٥٣.

(٣) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر: ٤/ ٣١، ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري: ١/٢١١_٢١٤، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر:٨: ٣٠٦،٣٤٦، المقريزي: السلوك: ٢/ ٢٢١، المقفى الكبير: ٢/١١٢، ١٩٨، ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي:٧/١٨٩، تحقيق: محمد محمد أمين، وآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء: ٨٤.

مماليك السلطان والقضاة الأربعة والنظار والمستوفون في الصباح والعشي، فضلًا عن أنه كان يستغل انشغال السلطان الأشرف خليل (٦٨٩_٦٩٣هـ) /(١٢٩٠_١٢٩٤)م بمحاربة الصليبين فاستفحل أمره السياسي وبسط نفوذه على أمراء الدولة ورجالاتها حتى كان يجلس فلا يقوم لأحد منهم بل كان يتعمد تجاهل بعضهم في دخولهم عليه، وكان يوغر صدر السلطان عليهم، فساعد من استبداده بالسلطة توليه أمور الخزانة ومحاسبة الولاة والعمال ومتابعة الأمور المالية عن كثب[١] ساعده في ذلك الخبرة التي اكتسبها من توليه حسبة دمشق[٢] أيام المنصور قلاوون[٣]، وعمله بالتجارة الذي طبقت شهرته بها الآفاق، مع إطلاق الأشرف يده في شئون الدولة والإصغاء لقوله، وكان من المهام التي وكلت إليه توليه الكشوف بمصر ومن ذلك الكشف الذي قام به في الوجه القبلي فوجد أن مصادر دخل ديوان الأمير بيدرا[٤] من الجهات إضافة إلى ما هو في

(١) المقريزي: السلوك: ٢/٢٢٢،٢٢٣، المقفى الكبير: ٢/ ١١٢، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء: ٨٥، الأشقر: الوزارة والوزراء في مصر عصر سلاطين المماليك: ٦٠.

(٢) الذهبي: العبر في خبر من غبر: ٣/ ٣٨١، المقريزي: المقفى الكبير: ٦/ ١١١.
وأما قول الذهبي: استصغره الناس عنها: العبر في خبر من غبر: ٣/ ٣٨١، فهذا دليل أنه ما عزل عن الحسبة لعجزه وإنما لصغره، حيث يقول ابن خلدون: أن المنصور استعمل ابن السلعوس على اقطاعات الشام فوفر له جبايتها وأثبت قدرته على القيام بالعمل فولاه ديوان مصر فأسرف في الظلم ... . ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي، (ت٨٠٨هـ): تاريخ ابن خلدون، المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: ٥/ ٤٦٣، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٨/ ٥٣.

(٤) الأمير بدر الدين بيدرا المنصوري، نائب المملكة الأشرفية بمصر سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، كان له قدر ومنزلة عند السلطان المنصور، ومن كبار رجال دولته، فجعله أتابك بعد =

إقطاعاته وما اشتراه وما حماه أكثر مما هو جار في الخاص السلطاني، كما وجد الشون السلطانية بالوجه القبلي خالية من الغلال وشون بيدرا مملوءة، فأرسل إلى السلطان يعلمه بذلك وأغراه بالأمير بيدرا حتى تغير عليه فبلغ الخبر بيدرا فخاف وبدأ في إرضاء السلطان وجهز من الهدايا والتقدمة الجليلة الحسنة ما جعل السلطان يكتفي بارتجاع بعض الجهات وإبقائه على ما تحت يده ولم يوقع عليه عقوبة أو يعزل من منصبه(١)، ولكن من الملاحظ أن الوزير ابن السلعوس لم يكن محبوبًا بل كان سببًا من أسباب نقمة الأمراء على الأشرف خليل بن قلاوون والتخلص منه (٢).

وعطفًا على ما سبق يلاحظ أن عددا من وزراء الصحبة كان يتم استغلال مناصبهم السياسية من قبل أمراء الدولة للتوسع في دخولهم وزيادة ثرواتهم؛ ومن أبرز الوزراء الذين ساء استخدامهم في منصب وزارة الصحبة ابن عطايا(٣)، الذي رتبه الأمير علم الدين سنجر الجاولي في يوم الأربعاء ثاني

=

توليه الملك، فتحكم في الصادر والوارد، قتل سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. الذهبي: تاريخ الإسلام:٧٦٣/١٥، ابن حبيب: مخطوطة درة الأسلاك: ورقة: ٥٠، ٦١.

(١) ابن العسال: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد:٣١٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: ٥/ ٤٦٥، المقريزي: السلوك: ٢٣٩/٢، المقفى الكبير: ٢/ ٣٢٤، الأشقر: الوزارة والوزراء في مصر:٧٥.

(٢) المقريزي: السلوك: ٢٤٧/٢، المقفى الكبير: ٢: ٣٢٥.

(٣) الوزير سعد الدين، محمد بن محمد بن عطايا كان خيّرا محبا للفقراء وأهل الصلاح، تولى ناظر البيوت بالقاهرة، ثم رسم له بالوزارة في ثاني عشر شهر رمضان سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، وأقام في الوزارة الى أن عُزل عنها بضياء الدين النشائي في أوائل سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، وكانت وفاته شعبان سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م بمصر، ودفن بالقرافة. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر: ٥/ ١٩٤، ١٩٥، المقريزي: المقفى الكبير:٧/ ٣٣.

عشر شهر رمضان سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، في منصب وزارة الصحبة؛ فوقّع على المناشير ونفّذ أمور الدولة، إلا أنه لم يستمر طويلًا في وزارة الصحبة حيث لم تتجاوز مدته سنة وخمسة شهور، حيث كان عزله من وزارة الصحبة في بداية سنة٧٠٦هـ/١٣٠٦م[١]، حيث أن الجاولي ما قصد من توليته _ابن عطايا_ الوزارة إلّا ليتمكّن به من أخذ أموال الدولة، مما أدى إلى حنق السلطان الناصر محمد بن قلاوون(٦٩٨_٧٠٨هـ/١٢٩٩_١٣٠٩م) فقبض عليهما في يوم الخميس نصف المحرّم سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م، ثم أُفرج عن ابن عطايا بعدما صودر منه ثمانين ألف درهم[٢]، جراء استغلاله منصبه وجهله [٣].

وعلى العكس من سابقه فقد ذكر المؤرخون الحنكة السياسية لبعض وزراء الصحبة كعلم الدين عبد الله بن زنبور[٤] الذي لم يكد يتولى وزارة الصحبة وأُنعم عليه بخلع الوزارة في يوم الخميس سابع عشرين ذي القعدة سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م،

(١) ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري: ٤٣١/٢، ابن العسال: النهج السديد والدر الفريد: ٤٥٣، المقريزي: المقفى: ٧/ ٣٣.

(٢) ابن أيبك الدوادار: كنز الدرر وجامع الغرر: ٩/ ١٦٠، المقريزي: السلوك: ٢/ ٣٨٢،٤٠٦، ٤٠٧، المقفى: ٧/ ٣٣.

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ٥/ ٤٥١، ٤٥٢.

(٤) عبد الله بن أحمد بن إبراهيم، الوزير الصاحب علم الدين بن تاج الدين الشهير بابن زنبور، القبطي المصري، ولي نظر الجيش والخاص، فاجتمعت له وظائف ثلاثة معاً ولم تجتمع لأحد قبله، ولا بعده، فعظم أمره في الدولة، وكان سكنه بالبندقيين داخل القاهرة، ثم دارت عليه الدوائر فاعتقل وصودر ومن جملة ما أخذ له: أردبان لؤلؤ، وألفا ألف دينار، وقس على ذلك من القماش وغيره، واستمر ابن زنبور معتقلاً بقوص إلى أن توفي سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:٧/ ٧٠، ٧١، ابن حبيب: مخطوطة درة الأسلاك: ورقة: ١٩٥، النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٩٩.

أيام السلطان الناصر حسن(٧٤٨هـ/١٣٤٧م _ ٧٥٢هـ/١٣٥١م)[١]، حتى ركب في موكب عظيم، فجلس بشباك قاعة الصاحب من القلعة وجلس أمامه ناظر الدولة والمستوفون وجميع المباشرين وقرر معهم ما يعتمدونه، وشرع في عرض الشادين والكتَّاب وسائر أرباب الوظائف، وتقدم إلى المستوفين بكتابة أوراق المتأخر في النواحي واهتم بتدبير شئون الدولة، وقد التزم الوزير علم الدين بين يدي السلطان والأمراء أنه يباشر الوزارة بغير معلوم ويوفر ذلك للسلطان، ومن الواضح أن اشتراطه العمل بغير معلوم قد كلفه كثيرا من العمل ففي سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م طلب منه تجهيزه تشاريف الأمراء وأرباب الوظائف على العادة، وفي نفس السنة جددت له الوزارة وخلع عليه خلعة الاستمرار بها[٢]، وكان تكليفه تجهيزه تشاريف الأمراء سببًا لنقمة بعض الأمراء[٣] عليه والإيقاع به ومصادرة أمواله وتعذيبه ونفيه حتى موته[٤]، ولعل كشف ابن زنبور ما وقع في جند

(١) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر:٢: ٢٤٧، الوافي بالوفيات: ١٦٦/١٢، ١٦٧، ابن حبيب: مخطوطة درة الأسلاك: ورقة: ١٧٨، ٢٠٠.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات: ١٧/ ٣٧، المقريزي: السلوك:١٤٠/٤، ١٤٥، المقفى الكبير:٤/ ٢٣٩، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء:٧٠_٧٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٥٥.

(٣) لما كلف السلطان ابن زنبور بعمل الخلع والتشاريف على جميع أرباب الوظائف من الأمراء والمباشرين فلمّا فرّقت التشاريف على الأمراء أخطأ الذي أخذ تشريف الأمير صرغتمش ودخل به إلى الأمير بلبان السناني ودخل بتشريف بلبان لصرغتمش، عند ما رآه صرغتمش ساء ظنّه بابن زنبور وأنه تعمّد ذلك احتقارا له،... فلم تزل في نفس صرغتمش حتى قبض على ابن زنبور ونكبه، في شوال سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:٧/ ٧٠، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء:٧١، المقريزي: المقفى الكبير:٤/ ٢٤٠.

(٤) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:٧/ ٧٠، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء:٧١.

الحلقة[١] من الفساد بدخول جماعة كبيرة من أرباب الصنائع في جملة أجناد الحلقة وأخذ جماعة كثيرة من الأطفال الإقطاعات، فرسم بعرض أجناد الحلقة وأرسل البريد إلى النواحي لإحضار من بها منهم فحضروا وابتدئ بعرضهم ليخرج ما وقع من الفساد بفعل بعض الأمراء[٢].

ونظرًا لقوة الوجود السياسي الذي تمتع به بعض وزراء الصحبة في دولة المماليك البحرية فقد كان يلحظ في بعض الأحيان أن انقطاع الوزير عن عمله يحدث اضطراب في شئون العامة والخاصة؛ مثل ما حدث من انقطاع الوزير الصاحب موفق الدين[٣] لوعكة أصابته فتعطلت أشغال السلطنة[٤] أيام الملك

(١) جند الحلقة هم الطبقة الثانية من الجند ومناشير تعيينهم لا تكن من السلطان، إنما تكون من أمرائهم وهؤلاء الجند لكل عدد أربعين نفرا مقدم منهم، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر، كانت تصرف لهم الإقطاعات، فمنها ما يبلغ ألف وخمسمائة دينار، وما دون ذلك إلى مائتين وخمسين دينارا، ويقع الفساد بأن يدخل فيهم ما لا تتوافر فيه صفات الجندية من المتعممين وغيرهم، بواسطة النزول عن الإقطاعات، العمري: مسالك الأبصار:٣/٤٣٠، القلقشندي: صبح الأعشى: ٤/١٦، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي:١٢، دار الفكر المعاصر بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٢) المقريزي: السلوك: ٤/ ١٢٧، ١٢٨.

(٣) الوزير موفق الدين: عبد الله بن سعيد الدولة القبطي الذي كان يسمى هبة الله ولما أسلم تسمى عبد الله، ولي نظر الدواوين في أواخر دولة الناصر ثم نظر الدولة ثم نظر الخاص ثم ولي الوزارة سنة ٧٥٣هـ١٣٥٢م/، وكان يحب الفضلاء ويؤثر الفقراء، مات في ربيع الآخر سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م. المقريزي: السلوك: ٤/٢١٦، ابن حجر: الدرر الكامنة: ٦/ ١٦٧، ابن كثير : البداية والنهاية: ١٤/٢٨٤.

(٤) المقريزي: السلوك: ٤/١٩٩، ابن حجر: الدرر الكامنة: ٦/ ١٦٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٩٩.

صالح بن الناصر[١] كما أن منصب الوزير الصاحب ظل شاغرا بعد وفاته إلى سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م[٢]، وهذا فخر الدين ماجد بن قروينة التي كُلف بالإشراف على تجديد الأسطول وإنشاء الشواني(سفن حربية طويلة) سنة ٧٦٥هـ/ وهو من الأمور الحربية والسياسية المهمة، فقام بذلك خير قيام فأنشأ مائة شنين تم استلامه وتجربتها في الملاحة البحرية[٣].

ومما سبق يظهر للقارئ الدور الفعال الذي أداه وزراء الصحبة في الجوانب السياسية والإدارية الأمر الذي أهلهم للقيام بأعباء أخرى تمثلت في النواحي الاجتماعية والاقتصادية وهو ما يتناوله البحث في المبحث التالي:

(١) السلطان الملك صالح بن الناصر محمد بن قلاوون، ابن التتكزية، ولد سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م وتولى الملك سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م وتوفي سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م .الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر:٢/٥٥٠.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة: ٢/٢٢٤.

(٣) المقريزي: السلوك:٤/ ٢٩٨، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: جـ١/ق٢/٢٧، ٢٨.

المبحث الثاني: المهام الاجتماعية والاقتصادية لوزراء الصحبة في دولة المماليك البحرية وأثره في المجتمع.

كان لخدمة المجتمع وإعماره وإصلاح شئونه العامة رجال تمتعوا بقدرات أهلتهم لتحقيقها، ولعل من أبرز تلك الرجالات وزراء الصحبة في العصر المملوكي

ومن هؤلاء الوزراء من مالوا إلى السلطة الحاكمة فسارعوا في إرضائهم فجاروا على الرعية وأساؤا التعامل؛ فهذا الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، الذي تولى وزارة الصحبة للملك المعز أيبك، فأحدث ظلامات عديدة على الرعية سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م[١]، وابتكر سنة٦٥٠هـ/١٢٥٢م بنود لجمع المال سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية؛ حيث قدر الأموال على التجار وأصحاب العقارات، ورتب الضرائب والمكوس والضمانات والتي استقرت وتزايدت فيما بعد[٢]، فوقعت المصادرات على الناس، وأخذ الجوالي من أهل الذمة مضاعفة وأحدث التصقيع والتقويم[٣] الذي يقوم عليه المتحصل من الأموال[٤]، حتى قال فيه القلقشندي[٥]: "فكان سيئة من سيئات المعز"، وكان هذا

(١) المقريزي: السلوك: ١/ ٤٧٥.

(٢) ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت (٨٠٩هـ): نزهة الأنام في تاريخ الإسلام: ٢١٢، تحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، ط، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، الأشقر: الوزارة والوزراء في مصر: ٧٧.

(٣) التصقيع: وهو سجل مساحة الأرض وإحصائها، والتقويم: وهو تقدير ثمن البيوت والمال من أجل فرض الضريبة. رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ): تكملة المعاجم العربية:٨/ ٤٢٥، تعريب: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي:٤٥.

(٤) المقريزي: السلوك: ١/ ٤٧٧.

(٥) مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ٢/ ٩٤، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت – الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

منه على غير المراد من وظيفته وهي تخفيف العبء عن الرعية وجبر كسيرهم، فكان عليهم مع نوائب الدهر ونكباته.

وعلى النقيض من ذلك كان الصاحب فخر الدين بن حنا الذي كان محبًا لأهل الخير والصلاح مؤثرًا لهم متفقدًا لأحوالهم، فقام على كفالة الفقراء ورعايتهم فوفر لهم مكانًا يصلح لإقامتهم فعمر رباطًا _عرف رباط الآثار_ بالقرافة الكبرى يشرف على بركة الحبش فحسنه ورتبهم فيه وأجرى عليهم العطاءات[١]، كما شفع لأهل دمشق سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م عند السلطان الظاهر أن يقبل منهم ما أجمل عليهم من الضرائب والتي بلغت ألف ألف درهم؛ على دفاعات أولها أربعمائة ألف وقيل ستمائة ألف ويسقط عنهم في كل عام مائتي ألف درهم، وأن يرد لهم ما قبض عليه الديوان من المغل واستخرج لهم بذلك توقيع من السلطان وقرئ على المنبر[٢] وهي شفاعة لم تغن عن الناس كثيرا سوى تقسيط المبلغ على عدة دفعات، حيث قسم المدفوع على الناس مما اضطر بعضهم لبيع بساتينهم بأثمان بخس لسد ما عليهم وأن ما يتحصل منها لا يكفي ما يتعين على صاحبها دفعه للضمان[٣]، غير أن ابن شاكر والصفدي ذكروا: أن شفاعة الصاحب فخر الدين كانت سببا في إسقاط ما تبقى عليهم بكتاب قرئ على المنبر[٤] ولا تعارض، إذ

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٣/ ٣٠٠، المقريزي: الخطط: ٩٤/٤، المقفى الكبير: ٦/ ١٧٩، ١٨٠،السيوطي: حسن المحاضرة: ٢٧٣/٢،

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: ٣٨٧/٢، الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/ ١٩، العبر في خبر من غبر: ٣١٤/٣،

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/ ١٩، العبر في خبر من غبر: ٣١٤/٣،

(٤) فوات الوافيات: ٢٤٧/١، الوافي بالوفيات: ١٠/ ٢١٦،

إن فداحة ما خسروا لسداد الجزء الأول على حد ما ذكره الذهبي من دواعي إسقاط باقي المبلغ(١).

وكان من أثر ابن السلعوس في الناحية الاجتماعية سلبيا على الرعية والأمراء معا؛ بما أستحدثه من فرش البسط والزينات وغيره من أمور استقبال السلطان عند رجوعه من المعارك والتي تنفق فيها الأموال الطائلة وكان هو أول من سن تلك البدعة التي توارثها الوزراء للملوك من بعده ولم تكن لأحد قبل الأشرف خليل بن قلاوون وقد عقب ابن كثير على هذه الفعلة بقوله: وهذه بدعة شنعاء قد أحدثها هذا الوزير للملوك، وفيها من الإسراف والضياع للمال والأشر والبطر والرياء وتكليف الرعية، وأخذ أموالهم ووضعها في غير مواضعها(٢)، وفي جانب الأمراء كان يتعالى عليهم ويعامل الكبار منهم معاملة الصغار مما جعل طبقة الأمراء يتحينون الفرصة للإطاحة به، فلم يكد يقتل السلطان الأشرف وكان ابن السلعوس بالإسكندرية، ليحصل الأموال المستحقة للدولة، ولم يشعر بما جرى للسلطان إلا والأمراء الكبار قد أحاطوا به فأخذوه وصبوا عليه العذاب صبا وأخرجوا منه الأموال ولم يزالوا يعاقبونه حتى وفاته سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م(٣).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٥/ ١٩، العبر في خبر من غبر: ٣١٤/٣، فوات الوافيات: ٢٤٧/١.

(٢) ابن العسال: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد:٣٠٦، البداية والنهاية: ٣٨٦/١٣.

(٣) ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري: ١٩٣/١، ١٩٤، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى: ٨/ ١٧٣، تحقيق: محمود محمد الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.ابن كثير: البداية والنهاية:١٣/ ٣٩٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون:٥/ ٤٦٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:٨/ ١٦، ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب:٧/ ٤٧١.

وهذا الصاحب فخر الدين بن الخليلي تولى وزارة الصحبة لأربعة من سلاطين المماليك وزر في آخر الدولة المنصورية، ثم وزر للعادل والمنصور حسام الدين، ثم بعد ذلك للناصر قلاوون ثم عزل[١] وكان يتخللها فترات اضطراب وضعف سلطة السلطان وازدياد نفوذ النواب والأمراء ومماليكه وتشكيك كل منهم في غيره، وأخذهم الرشاوى من القضاة والمحتسبين وسائر من يتولى وظيفة أو يباشر عملا ...، وتلاعب الناس في النقود عند الضرب فزيفت وخففت أوزانها[٢] ووقع غلاء العظيم سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م و٦٩٥هـ/١٢٩٥م وهلك خلق كثير بديار مصر، والصعيد، والأرياف وتوقفت أحوال الدولة من كثرة الكلف؛ فأعيته التدابير واتخاذ القرارات، فنودي في الناس أن توزن الفلوس _وهي المرة الأولى_ أن يكون زنة الفلس درهم، والرطل بدرهمين، وكان من جملة ما جرى أيضًا_ محاولة لتخفيف العبء وتقديم حلول للخروج من الأزمة_ أن كلف الصاحب فخر الدين بن الخليلي جمع من المباشرين منهم الحسن بن أبي محمد الصفدي بالتّوجّه إلى فاقوس[٣] ومن معه لزراعة أراضي الخاصّ[٤]، وإن كان

(١) الذهبي: العبر:٤/ ٢٧.

(٢) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة: ١١١، تحقيق: كرم حلمي فرحات، دار عين للدراسات والبحوث، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

(٣) مدينة في حوف مصر الشرقيّ، منها إلى مصر مسيرة يومين، في آخر ديار مصر في الحوف الشرقيّ الأقصى، من جهة الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٤/٢٣٢، القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين ابن شمائل (ت٧٣٩هـ): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع:٣/ ١٠١٥، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ/١٩٩١م.

(٤) الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي العبّاسي الصَّفَدِي (ت: بعد ٧١٧ هـ): نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك «يؤرخ من عصر الفراعنة والأنبياء حتى سنة ٧١٧هـ»: ١٧٢_١٧٤، تحقيق: =

أمر زراعة الخاص أمرا لازما يقوم به في كل عام فهي محمدة تشكر له، وأما ما أمر به وأغضب الرعية إلا أنه عُدّ حلا آخر من وجهة نظر الإدارة السياسية وخطة استراتيجية تعبر بهم أفق تلك الأزمة فجعل متحصل المواريث[١] للغداء والعشاء، فأخذ الأموال الموروثة ولو كان الوارث ذكرا أو غيره، فإذا طالبه الوارث بالميراث أو ما يخصه من التركة، كلفه إثبات نسبه واستحقاقه للإرث، ورفع الأمر للقضاء فما يستطيع إثبات حقه إلا بعد عناء ومشقة فإذا تم له ذلك أحاله على ديوان المواريث ليستوفي ماله من تركة ميت آخر، مما أعيا الناس وأعجزهم فيتركون الطلب[٢]، ولم يسلم التجار من كثرة المكوس وزيادة أسعار السلع والبضائع عليهم، ولا متنفس لهم إلا الفقراء وذوي الحاجات فيغلون عليهم الأثمان، وفي نهاية الأمر تقع المصادرات للأمراء وغيرهم[٣].

وبعد ذلك فإن المقريزي يلتمس له عذرا بل أعذارًا؛ فقد ولي فخر الدين الخليلي الأهراء السلطانية فارغة من الغلال بسبب إطلاق أيدي الأمراء فيها حتى نفدت، وصار يؤخذ علف خيول السلطان من دكاكين العلافين، وكانت التقاوي المخلدة قد أكلت، وقصر مد النيل، فصار الوزير يشتري مئون دور السلطان من

=

عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(١) يقصد به مال المواريث الحشرية، وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث من أصحاب الفروض، والتي صارت من جملة أموال السلطان، فتعدل فيه الوزارة مرّة وتظلم أخرى. المقريزي: الخطط: ١/ ٢٠٨، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي :٦١.

(٢) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة: ١١١،ابن حجر: الدرر الكامنة: ٤/ ٢٠٠.

(٣) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة: ١١١، المقريزي: السلوك: ٢/ ٢٦٩، ٤٥٠، المقفى الكبير: ٦٢/٧.

الغلال والعليق فتزايد الغلاء حتى بلغ ثمن الأردب من القمح تسعين درهما[١] ويستمر المقريزي في الدفاع عنه بأنه رفع الأمر للسلطان كتبغا وفخر الدين ناظر الدولة فكان سببا في عزل تاج الدين بن حنا عن الوزارة[٢]، وجاء الصفدي يثني على الصاحب فخر الدين بن الخليلي الداري، بأنه كان من فضلاء الوزراء النبلاء، فقد أحسن إلى الرعية في وزارته، وقرر للفقراء الرواتب، وكتب بذلك كتبا ووقع عليها، ولم يخش في ذلك العواقب ولا العواتب[٣]، ولخص ابن حجر الأمر فقال:" وكان لا يمنع سائلا وزر أربع مرات وصودر ولكن ما اتفق أن كشف له رأس لكثرة من كان يتعصب له ولم يكن مذموم السيرة في ولايته إلا في المرة التي فيها كتبغا"[٤]،وكان الصاحب شمس الدين **غبر**يال[٥] الوزير بمصر، يشد من أزر من وقع له مكروه على أفضل ما يكون، فلم يكشف لأحد ممن عزل عورة ولا ضربه بالمقارع، ولا صادر الأموال، وكان أرباب الدواوين يستشيرونه ويأخذون برأيه، وكان كبار القوم يعطونه أموالهم ليتاجر لهم فيها، وكان يخفض الجناح

(١) السلوك: ٢/ ٢٦١.

(٢) المقفى الكبير: ٦٢/٧.

(٣) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر:٣/ ٦٣٥_٦٣٨.

(٤) الدرر الكامنة: ٤/ ٢٠١.

(٥) شمس الدين غبريال، عبد الله بن الصنيعة المصري تولى كاتب الخزانة في أيام المنصور حسام الدين لاجين، ثم وولي نظر الجامع الأموي والأسرى والأوقاف بالشام في المحرم سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، ثم تولى نظر الدواوين بدمشق في نصف المحرم سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م ولم يزل في سعادة وزيادة، حتى تغير له تتكز واتفق مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على عزله، فقبض عليه في حادي عشر شوال سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م، وبقي في الاعتقال إلى أن حضر السلطان من الحجاز فطلبه إلى مصر فولاه الوزارة بها، فالتزم له بتكملة ألف ألف درهم، وكانت وفاته سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م. الصفدي: أعيان العصر: ٦٦١/٢، ٦٨٥، ابن حجر: الدرر الكامنة:٣/ ٣٧، ٣٨.

لمن تحت يديه ومماليكه يكرمهم ويتلمس أعذارهم[١] وكان سبب عزله ومصادرته أن تنكر له الأمير تنكز[٢] واتهمه أنه خان في مال السلطان واشترى به أملاكاً، فكتب السلطان إلى تنكز، بتتبع ودائعه وظهر له شيء كثير، فحمل ذلك إلى السلطان، وكان من أهم أسباب نكبته سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م هو اشتراكه مع الدويدار وناظر الصاغة وابن البحشور الصيرفي على ضرب نقود مغشوشة زائفة آذوا الناس بها، فخلطوا المثقال من الذهب بأربعة قراريط فضة واستمر هذا الأمر سنوات والناس والحكومة في غفلة إلى أن انكشف الأمر وأيدي الناس مملوءة من هذا الذهب الذي أُطلق عليه البحشوري، فصار الدينار بعد ذلك يباع بأنقص من الخالص بثلاثة دراهم ونصف، فنال غبريال من النكال والمصادرة للأموال في حياته وبعد مماته مما في يد ورثته[٣].

(١) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر: ٤/ ١٠٧، ١١٢، ١١٣، ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري: ٦٧٧/٣، ٦٧٨، الصفدي: أعيان العصر: ٦٨٥،٦٨٦/٢ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي: ٢/ ٢٩١، ٢٩٧، ابن تغري بردي: المنهل: ٧/ ٨٩، ٩٠.

(٢) الأمير تنكز نائب الشام، سيف الدين نائب السلطنة بالشام؛ اشتراه الأمير حسام الدين لاجين، فلما قتل في سلطنته صار من خاصية السلطان الملك الناصر، وتمكن في النيابة، وكان السلطان لا يفعل شيئا في الغالب حتى يسير يشاوره فيه، توفي سنة٧٤١هـ/١٣٤٠م. ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات:١/ ٢٥١_ ٢٥٥، الصفدي: الوافي بالوفيات:١٠/ ٢٦٠_٢٦٤.

(٣) ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري: ٦٧٨/٣، ٧٣٥_٧٣٧، العمري: مسالك الأبصار:٥٤٤/٢٧، ٥٤٥، الذهبي: العبر:٤/ ٩١ ،٩٩، الصفدي: أعيان العصر: ٦٨٥،٦٨٦/٢_٦٩٠، الوافي بالوفيات: ١١٤/١٧، ابن حجر: الدرر الكامنة: ٣/ ٣٧،٣٨، النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس:٢/ ٧،

وهذا الصاحب علم الدين بن زنبور قد أنشأ مأوى للغرباء عرفت بالسبع قاعات[١] تكترى لإقامة الغرباء وأوقف العائد منها على ذوي الحاجات وغيرهم[٢].

وعلى غرار من سبق كان الصاحب فخر الدين ماجد بن قرونية[٣] الذي ولي وزارة الشام ثم نقل إلى مصر أيام نيابة يلبغا اليحياوي[٤] نائب السلطنة بالشام، وكان دوره الاجتماعي والاقتصادي سلبًا على الرعية إرضاء للأمير يلبغا فلم يرضه، وغرته نفسه فعمل على جمع المال فسام الرعية سوء العذاب حتى ترك بيوت الأموال عامرة بالذهب والفضة والأهراء مليئة بالغلال والمحاصيل فبلغ جملة ما تركه يكفي ثلاث سنين، فكان جزاؤه وفاقا، حيث نقم عليه بعد وفاة يلبغا سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م شاد الدواوين فأذاقه أنواع العذاب حتى لف مشاق الكتان على أصابعه وغمرت بالزيت وأوقدت فيها النار، كما أحمى خوذة من فلاذ

(١) تقع بالقرب من سويقة الصاحب بجوار دار بيبرس ومكانها من جملة اصطبل الجميزة قريبا من باب زويلة، المقريزي: السلوك: ٣/ ١١٥،١١١،١١٠.

(٢) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي:٧/٧٠، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء:٧١، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ): التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة:٢/٥٦٦، ،الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م، الضوء اللامع: ٨/ ٢٨١.

(٣) ماجد بن قرونية فخر الدين الوزير القبطي توفي سنة ٧٦٨هـ/1366م. ابن حجر: الدرر الكامنة:٤/ ٣٢٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:١١/ ٩٧.

(٤) الأمير الكبير سيف الدين يلبغا اليحيوي بن سيف الدين طابُطا، الساقي الناصري نائب حماة وحلب ودمشق، كان من أكبر الأمراء الخاصكية، ولم يكن عند الملك الناصر محمد أعز منه، خرج على الملك الكامل، وكانت قتلته بقلعة قافون سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر:٥/ ٥٨٤_٥٩١، ابن حبيب: مخطوطة درة الأسلاك: ورقة: ١٨٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ١٠/١٨٥.

وألبسها له... إلى أن هلك في ١٨ جمادى الآخرة سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م[١]، غير أن ابن تغري بردي أثنى عليه بأنه كان بارعًا في الإدارة قام بالأمر خير قيام حتى قال أنه لم يل الوزارة في الدولة مثله، فعمر بيوت الأموال بالذهب والفضة والأهراء ما يكفي لثلاث سنوات وبعض الرابعة ويقدر بما يزيد ثلاثمائة ألف أردبّ، وقام بكلفة السلطان وكلفة الأتابك ويحمل إلى الخزانة الشريفة في كل شهر ستين ألف دينار، وحين وصفه بالظلم قارنه بمن هو أشد منه ظلمًا فقال: " وقلّة الظلم بالنسبة إلى غيره" [٢]، ولعل ذلك مقبول من وجهة نظر ابن تغري بردي لصلة عمله بالدواوين، ويرد عليه ابن حجر بأنه كان ظلاما جماعا للمال[٣].

ومن وزراء الصحبة من يذكر فيشكر جهده وفضله؛ مثل الوزير شمس الدين إبراهيم (كاتب أرلان) الذي قام بأعباء الوزارة خير قيام؛ فقد وكلت إليه بأمر السلطان الظاهر برقوق(٧٨٤_٧٩٠)هـ في وقت كانت أحوال الوزارة غير مستقيمة بسبب تردي الأحوال الاقتصادية لتسلط الأمراء على النواحي فاستأجروها بقليل الأجر المعجل مما ضيق على الدولة دخولها من الغلات والمحاصيل، فكف أيدي الأمراء، وأعاد المتحصل من النواحي لخزينة الدولة، فترك الوزارة وفي الخزائن من النقد ألف ألف درهم وفي الأهراء من الغلة ثلاثمائة وستون ألف أردب ومن الغنم ستة وثلاثون ألف رأس وغير ذلك، مع عدم الاعتداء على حقوق الرعية ففتح الطواحين بمصر التي كانت مغلقة، وأعاد

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة: ٤/٣٢٠، المقريزي: السلوك: ٤/ ٣٠٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ١١/ ٩٧.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:٩٧/١١، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: جـ١/ق٢/٦٤،٥٥.

(٣) الدرر الكامنة: ٤/ ٣٢٠.

المخابز السلطانية، وملأ حواصل الحوائج والخانات من جميع الأصناف التي يحتاجها المجتمع[١]، وكتب في مرض موته أوراقاً بالحواصل وكانت قيمتها خمسمائة ألف دينار، وأرسل بالورق إلى السلطان[٢].

وفي ذات الصلة نلحظ أن لشمس الدين أرلان دور اقتصادي بارز حيث جدد مصانع السكر بمصر وشدد الرقابة على دور ضرب المسكوكات حتى تقوم على العيار الشرعي مناعا للغش وانتشار الفساد بين الرعية، ووصل من همته أن هذا الأمر ظل معمولا به طيلة أيام صحبته وحتى وفاته سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م[٣]، وليس أدل على عظم الدور الذي أداه الوزير شمس الدين أرلان إبان وزراته للصحبة أن اشترط فيمن يلي الوزارة بعده؛ أن يكون على قاعدة الوزير شمس الدين وشروطه[٤].

وصفوة القول فيما سبق أن وزراء الصحبة في دولة المماليك البحرية بعضهم كان ذا آثار سيئة على الرعية والمجتمع، بينما البعض الآخر كان ذا آثار محمودة مشكورة خدم بها المجتمع على قدر جهد وما اتيح له من الوسائل والظروف.

(١) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر: ١/ ٢٧٢، ٣٣٨، ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل في ذيل الأمم: ٢/ ٢٠١.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر: ٣٣٨/١، عبد الباسط بن شاهين: نيل أمل في ذيل الدول: ٢/ ٢٠١،

(٣) المقريزي: السلوك: ٢٠٢/٥، ابن طولون: إنباء الأمراء بأنباء الوزراء: ٦٤، ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر:١/ ٣٣٨،٢٧٢.

(٤) المقريزي: السلوك: ٥/ ٢٩٨.

المبحث الثالث: أثر وزراء الصحبة في دولة المماليك البحرية في الحياة العلمية والثقافية.

لم يكن الأثر العلمي والثقافي لوزراء الصحبة بأقل أهمية من الدور السياسي بل كان دورًا فعالًا في المجتمع حيث أقاموا العديد من المدارس والمكاتب والمؤسسات العلمية خدموا بها المجتمع من ذلك: ما قام به الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا في الناحية العلمية والثقافية فأنشأ المدرسة الصاحبية البهائية[١] سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وكان أول من درس بها الصاحب فخر الدين محمد بن بانيها _الوزير الصاحب بهاء الدين_، وظل يدرس فيها إلى أن مات في سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٥م فتولى التدريس بعده ابنه الصاحب زين الدين أحمد الذي استمر بالتدريس بها لحين وفاته أيضًا سنة ٧٠٤هـ/١٣٠١م. وألحق بها خزانة ضخمة احتوت على نفائس الكتب الجليلة في مختلف العلوم والفنون[٢].

وكذلك الصاحب تاج الدين بن حنا الذي قام بترتيب زاوية بجامع الفسطاط عرفت بالزاوية الصاحبية التاجية ورتب بها مدرس الشافعية وهو الفقيه عز الدين بن مسكين[٣] والمالكي القاضي البوشي، وأوقف عليها الربع الذي بظاهر القاهرة

(١) كانت تقع هذه المدرسة بزقاق القناديل بمصر، بالقرب من الجامع العتيق، أنشأها الصاحب بهاء الدين بن حنا سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. ابن حبيب: مخطوطة درة الأسلاك: ورقة:٣٠، المقريزي: الخطط:٤/ ٢١١.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام:١٥/ ٣٤٤، ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات: ٣/٧٧، ابن دقماق: نزهة الأنام في تاريخ الإسلام: ٤١، ابن العماد: شذرات الذهب: ٧/ ٦٢٥.

(٣) الإمام عز الدين محمد بن مسكين القرشي الزهري، كان من أعيان الفقهاء، والزهاد، لم يقبل تولى قضاء الشام، والتدريس بالمدرسة المجاورة لقبر الشافعيﷺ بعد القاضي مجد الدين حرمي، توفي سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م بالمصاحبة بمصر ودفن بالقرافة. الصفدي: =

بـالبرادعيين والـذي يشـتمل علـى فنـدق بـه مخـازن دائـرة يعلوهـا مسـاكن للتجـار وطـاحون وفرن وحوانيت بظـاهر مسـاكن الحـدادين وغيرهم(١)، وهـو الـذي اشـترى الآثار النبويـة،(وهي قطعـة من العصـا ومـرود من نحـاس ومخصـف وملقط من فضـة والقصـعة)، بسـتين ألـف درهـم وجعلهـا فـي مكانـه بالمعشـوق، وهـو المكـان المنسوب إليه بالديار المصرية(٢)، كما جعل على تربته مكتباً لتعليم الأيتام القرآن الكريم وأوقف عليـه أوقافـا تـدر الـرزق علـى المعلمـين والطـلاب، وقـد حكـى هـذا القاضـي شـهاب الـدين بـن فضـل الله قـال: "اجتزت بتربـة فرأيـت فـي داخلهـا مكتبـاً للأيتـام، وهـم يكتبـون القرآن فـي ألواحهـم، فإذا أرادوا مسـحَها غسـلوا الألـواح وقلبـوا المـاء علـى قبره، فسألتُ عن ذلك فقيل لـي: هذا شرطٌ في هذا الوقف"(٣)، فبلـغ من خدمته لأهل العلم أن ابن حبيب قال فيه(٤):"وزير اشتد بالعلم أزره".

وعلى الجانب الآخر يذكر أن الصاحب ضياء الدين النشائي(٥) الذي ولـي الـوزارة فـي أول سـنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م وعلـى الـرغم مـن الثنـاء عليـه وأنـه كـان

=

أعيان العصر وأعوان النصر:٥/٢٦٣.

(١) ابـن دقمـاق: الانتصـار لواسـطة عقـد الأمصـار فـي تـاريخ مصـر وجغرافيتهـا: القسـم الأول:١٠٠، المركز التجاري للطباعة بيروت.

(٢) ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات: ٣/٢٥٥، ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر: ٩/ ١٥٢.الصـفدي: أعيـان العصـر وأعـوان النصـر:٢/٤٤٢، ٥/١١٣، الـوافي بالوفيـات: ١/ ١٧٤، السيوطي: حسن المحاضرة: ٢/ ٢٧٣.

(٣) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر: ٥/١١٤.

(٤) مخطوطة درة الأسلاك: ورقة: ٨٩.

(٥) أبو بكر بن عبد الله ابن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب المصري المشهور بابن النشائي، ضياء الدين، وزر أيام الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وكان قد وليها في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م بعد الصاحب سعد الدين بن عطايا، وولي نظر الأحباس =

مشكور السيرة، وله دور علمي بتصدره للتدريس العلوم الفقه فلم يكن بشيء في الإدارة والسياسة ليس لضعف خبرته وإنما لتسلط ابن سعيد الدولة المشارك معه والمشير عليه وانفراده بالأمر دونه، فبرز دوره في العلم وظهر أثره فيه فكان فقيهاً فاضلاً، حبراً مناظراً، محدثًا عالمًا بالفرائض وأقرانه عليه عيال، صحب الشيخ شرف الدين الدمياطي، فتولى تدريس قبة(زاوية) الإمام الشافعيﷺ ومشيخة الميعاد بجامع ابن طولون[١]، كما ولي في سنة ٧١١هـ/١٣١١م تدريس المدرسة الصلاحية بجوار الإمام الشافعي[٢].

وعلى الرغم مما ذكر عن الصاحب فخر الدين بن الخليلي فيما سبق من أمر وزارته وما كان له من أثر اجتماعي واقتصادي إلا أنه كان من العلماء الذين تركوا أثرا في النواحي العلمية والثقافية فقد روى الحديث عن المرسي[٣]،

=

في سنة ٧١١هـ/١٣١١م، وكان ابن سعيد الدولة معه مشيراً، وكان الأمر كله لابن سعيد الدولة، ولي نظر النظار بالقاهرة، ثم تولى نظر الخزانة قبل موته سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر: ١/٧١٩،٧٢٠، ابن حبيب: مخطوطة درة الأسلاك: ورقة: ١٠٤.

(١) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر: ١/٧١٩،٧٢٠، الوافي بالوفيات:١٠/١٤٩، ١٥٠، النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب:٣٢/ ١٤٢،١٢٢،١٩٣، المقريزي: السلوك: ٢/٤٠٨، ٤٢٤، ٥٢٠، المقفى:١/٣٤٤، ٦/٢٣٢، ابن حجر: الدرر الكامنة: ١/ ٥٣٠، ٥٣١.

(٢) ابن العسال: النهج السديد والدر الفريد: ٤٥٣، ابن حبيب: مخطوطة درة الأسلاك: ورقة: ١٠٤، السيوطي: حسن المحاضرة:٢/٢٥٨.

(٣) محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل، الإمام الأوحد، شرف الدين، أبو عبد الله السلمي، الأندلسي المرسي، المحدث، المفسر، النحوي، ولد بمرسية سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ورحل إلى العراق فدخل بغداد في سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م، ونزل بالمدرسة النظامية،،

=

وسمع منه ابن المهندس[١] وغيره، تولى التدريس بالمدرسة التي عمرها والده والتي عرفت بالمجدية الخليلية[٢] وظل يدرس بها ويقوم على أوقافها حتى وفاته سنة ٧١١هـ/١٣١١م، وكان يفخر بكونه من العلماء في التوقيع على المناشير والمكاتبات فيخرج التواقيع بالإشارة العالية المولوية الصاحبية الوزيرية الفخرية سيد العلماء والوزراء[٣].

=

وخراسان، والشام، ومصر، روى عنه خلق كثير، توفي ٦٥٥هـ/١٢٥٧م بالعريش بمصر . الذهبي: تاريخ الإسلام:١٤/ ٧٨٦، ٧٨٧.

(١) محمد بن إبراهيم بن غنايم الصالحي الحنفي المحدث العدل شمس الدين الشروطي بن المهندس، رحل إلى مصر ونسخ الكثير، فحصل الأصول وخرج وأفاد مع التصون والتواضع وحسن الخلق وعلو إسناد، توفي سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م.الصفدي: الوافي بالوفيات:٢/ ١٨،

(٢) تقع هذه المدرسة بمصر، عرف موضعها بدرب البلاط، عمرها الشيخ الإمام مجد الدين أبو محمد عبد العزيز بن أمين الدين أبي عليّ الحسين بن الحسن بن إبراهيم الخليليّ الداريّ، فتمت في شهر ذي الحجة سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م، وقرّر فيها مدرّسا شافعيا ومعيدين وعشرين نفرا طلبة، وإماما راتبا، ومؤذنا، وقيما لكنسها وفرشها ووقود مصابيحها. وإدارة ساقيتها، وأجرى الماء إلى فسقيتها، ووقف عليها غيطا بناحية بارنبار من أعمال المرتاحية قرب دمياط، وبستانا بمحلة الأمير بالغربية، وغيطا بناحية نطوبس، وربع غيط بظاهر ثغر رشيد، وبستانا ونصف بستان بناحية بلقس، ورباعا بمدينة مصر. ابن دقماق ت٨٠٩هـ: الانتصار لواسطة عقد الأمصار: القسم الأول: ٩٦، المقريزي: الخطط: ٤/ ٢٥٩،

(٣) الذهبي: العبر:٤/٢٧، الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر:٣/ ٦٣٥_٦٣٨، الوافي بالوفيات: ٢٢/ ٣١٦، ٣١٧، المقريزي: الخطط: ٤/ ٢٥٩،

الخاتمة وأهم النتائج:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ... فباستقراء المصادر التاريخية ذات الصلة والقريبة من فترة البحث والذي جاء بعنوان: وزارة الصحبة في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨_٧٨٤ هـ)/(١٢٥٠_١٣٨٢)م دراسة تحليلية، يمكن أن نخلص لعدد من النتائج نجملها في الأسطر التالية:

_القبض على كثير من الوزراء ومصادرة أموالهم وكأن الأمر سنة متبعة يمارسها كل من يباشر الوزارة فيمن عزل إلا ما ندر.

_المحابة في إسناد الوظائف وعدم تولي أهل الكفاءات مما جعل المنصب السياسي عبأ على الناس يتحملون تبعته من أقواتهم وأموالهم في صور شتى (الضرائب والمكوس والإتاوات والمصادرات)، في حين ينعم السلطان وحواشيه بوافر الخيرات وامتلاء خزائنهم بالمال والغلال.

_ يتضح من مهام وزارة الصحبة التي كان يكلف بها الوزير الصاحب أن هناك من الوظائف التي ابتكرت قد قاسمته دوره الحقيقي؛ إذ الوزير مقامه مقام السلطان والرتبة الثانية في سلم الوظائف بالدولة، فجاء المستوفي والناظر والشاد... .

_ ومن الواضح أن القليل من وزراء الصحبة من كانت لهم جهود علمية في تدريس العلوم ومباشرتها، ولكن الملاحظ إنشاءهم المدارس ووقفهم عليها.

_ ومن الملاحظ أن معظم هؤلاء الوزراء لم يكون من الأتراك بل كان الغالب عليهم أنهم من المصريين والأقباط .

_ينبغي أن يكون الوزير ورجال الدولة على مستوى عال من الثقافة والإلمام باللغات لما يقومون به من التمثيل الدبلوماسي واستقبال الوفود والقيام بالسفارات المختلفة.

_ لم يبرز لوزراء الصحبة دورًا سياسيًا وإداريًا إلا في العصر المملوكي، ولكن قبله كان دورهم مقصورا على الناحية العلمية والتأديبية والسمر وتأليف الكتب التي تذكر تاريخ الفترة أو الخليفة أو السلطان بذكر مآثره... .

_ استغلال بعض أرباب الوظائف العليا في الدولة ضعف بعض الشخصيات فيسعى بما له من نفوذ حتى يضعه في منصب وزارة الصحبة ثم يحقق من ورائه مأربه وما أراد فيكون أبعد عن الشبهة وأسلم من العقوبة.

_ لجوء بعض الوزراء إلى ابتكار أنواع جديدة للضرائب، ومسميات لجمع المال لحل الأزمة الاقتصادية.

_كثير من أزمات العصر المملوكي كان سببها ضعف السلطان أو غفلته مع إطلاق أيدي الأمراء في أموال الدواوين والرعية.

_كانت قصر مدة وزير الصحبة مانعا من ظهور دوره السياسي والإداري أو العلمي فقل أن تجد وزيرا قصرت مدة ولايته وكان له دور فاعل في الجانبين.

_ استحداث بعض الوزراء لبعض المناسبات ومظاهر الاحتفالات والزينة بها فكانت سنة سيئة أثقلت كاهل الأمراء والوزراء والرعية معا وأنفقت فيها الأموال الطائلة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولًا: المخطوطات

ابن حبيب الحلبي: الحسن بن عمر بن الحسن:(ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

*_ مخطوطة درة الأسلاك في دولة الأتراك، مكتبة آيا صوفيا رقم: ٢٣٣، عدد الأوراق: ٢٨٧ ورقة.

ثانيًا: المصادر والمراجع:

إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي:(ت: ٩٣٠هـ):

١_ بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، ط٤، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.

بامخرمة :الحضرمي أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ – ٩٤٧هـ):

٢_قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: بو جمعة مكري وآخر، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨ م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، (ت ٢٥٦هـ):

٣_صحيح البخاري، تحقيق: محمد صالح العثيمين، دار المستقبل، مصر، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين ت(٨٧٤هـ):

٤_المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، وآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٥_النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، د. ت.

ابن الجزري: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبـي بكر الجزري القرشي (ت: ٧٣٨هـ):

٦_ تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه(المعروف بتاريخ ابن الجزري)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ابـن حجـر العسـقلاني، أبـو الفضـل أحمـد بـن علـي بـن محمـد بـن أحمـد ت: (٨٥٢هـ):

٧_الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد بالهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت٧١٠هـ):

٨_الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ م .

ابـن خلـدون، عبـد الـرحمن بـن محمـد بـن محمـد الحضـرمي الإشـبيلي، (ت٨٠٨هـ):

٩_تـاريخ ابـن خلـدون، المسـمى: ديـوان المبتـدأ والخبـر فـي أيـام العـرب والعجـم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبـي بكر البرمكي الإربلي(ت٦٨١هـ):

١٠_وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان، تحقيـق: إحسـان عبـاس، دار صـادر، بيروت.

ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت (٨٠٩هـ):

١١_الانتصـار لواسـطة عقـد الأمصـار فـي تـاريخ مصـر وجغرافيتهـا، المطبعـة الكبرى ببولاق، مصر، ١٣١٠هـ/١٨٩٣م.

١٢_نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، ط، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري: (ت بعد: ٧٣٦هـ):

١٣_كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن(الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)؛ تحقيق: أُولْرِخ هارمان، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، الجزء التاسع(الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)؛ تحقيق: هانس رُوبرت رويمر، ١٩٦٠م

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ):

١٤_تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٥_سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٦_العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

سبط بن العجمي، أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر (ت٨٨٤هـ) :

١٧_كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ط١، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م،

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت٧٧١هـ):

١٨_ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

السخاوي شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ):

١٩_ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م،

٢٠_الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري أبو عبد الرحمن ت (٤١٢هـ):

٢١_آداب الصحبة: تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث – طنطا – مصر، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ):

٢٢_حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م.

ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون (٧٦٤هـ):

٢٣– فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

أبو شامة: شهاب الدين أبو محمد عبد الحمن بن إسماعيل المعروف بابي شامة المقدسي: (ت: ٦٦٥هـ):

٢٤_ تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين: ، تحقيق: السيد عزت العطار، محمد زاهد الكوثري، دار الجيل بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

ابن شاهين: زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (ت: ٩٢٠هـ):

٢٥_ نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م.

الصفدي: الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي العبّاسي الصَّفَدِي (ت: بعد ٧١٧ هـ):

٢٦_نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك «يؤرخ من عصر الفراعنة والأنبياء حتى سنة ٧١٧هـ»، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت٧٦٤هـ):

٢٧- أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد، وآخرون، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

٢٨- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وآخر، دار إحياء التراث بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

ابن طولون: شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي ت: (٩٥٣هـ/١٥٤٦م):

٢٩ _إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، تحقيق: مهنّا حمد المهنّا، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

ابن العسال، مفضل ابن أبي الفضائل (ت:٧٥٩هـ):

٣٠_ النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي السيد، دار سعد الدين دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠١٧م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ):

٣١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير بيروت، ط١، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م.

العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين ت:(٧٤٩هـ): ٣٢_التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٣٣_مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت٧٣٢هـ):

٣٤_المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية مصر، ط١، د. ت.

القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق، البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين ابن شمائل (ت٧٣٩هـ):

٣٥_مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ/١٩٩١م .

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، ت: (٨٢١هـ):

٣٦_ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.

٣٧_ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، مختصر صبح الأعشى، تصحيح ومقابلة: محمود سلامة، مطبعة الواعظ، درب الجماميز، القاهرة، ط١، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.

٣٨_مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت – الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت٧٧٤هـ):

٣٩- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت ٨٤٥هـ):

٤٠_ إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: كرم حلمي فرحات، دار عين للدراسات والبحوث، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٤١- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م.

٤٢_المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦ م.

٤٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٨هـ /١٩٩٧م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (ت ٧١١هـ):

٤٤- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٨هـ):

٤٥- الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (ت٧٣٣هـ):

٤٦_نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين المعري الكندي (ت٧٤٩هـ) :

٤٧_تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ):

٤٨– مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ):

٤٩– معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م.

اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت: ٧٢٦ هـ):

٥٠_ذيل مرآة الزمان، وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

ثالثًا: المراجع:

بدران: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد ت: (١٣٤٦هـ):

١_ منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

رينهارت رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ):

٢_تكملة المعاجم العربية، تعريب: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط١، من ١٩٧٩/ ٢٠٠٠م.

الزركلي خير الدين، بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ):

٣_ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

محمد أحمد دهمان:

٤_معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر بيروت، ط١٤١٠،١هـ/١٩٩٠م.

محمد عبد الغني الأشقر:

٥_ الوزارة والوزراء في مصر عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصرين ٢٨٩، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م.

مصطفى عبد الكريم الخطيب:

٦_معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

يحيي شامي:

٧_ موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.